المرأة ، موضوعا للتعلم والتعليم
صورة من صور العدل التربوى*

مقدمـــــــة

" الصراع " و " التنافس "، سنتان من سنن الله فى خلقه من العسير على أحد أن ينكرها وهو يرصد مسيرة الأمم فى مختلف البقاع ، وعبر العصور ، وهل يمكن لأحد أن ينسى ما رواه الله عز وجل فى كتابه الكريم مصورا أول صورة من صور الصراع والتنافس شهدها الإنسان بين ابنى آدم فى سورة المائدة :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠))٠

والأمم فى مسيرتها هذه تنزع إلى التفوق حتى تفوز فى حلبة التنافس والصراع والتدافع ٠وإذا كان للتفوق أسلحته المتعددة ، فرأس هذه الأسلحة هو امتلاك " القوة " ، والتاريخ حافل بصور يصعب حصرها دالة على ذلك من تصارع بين الفرس والروم ، وبين النازية والفاشستية وبين دول العالم ، وما قامت به دول البغى والاستعمار ضد الدول الصغيرة الضعيفة٠

---

* شاركت الدكتورة هدى حسن فى بعض أجزاء هذه الدراسة ، وقد نشرت بمجلة التربية والتنمية ، القاهرة ، ٢٠٠٦

وإذا كانت القوة يمكن ترجمتها في بعض المظاهر مثل قوة العضلات ، وفى الأسلحة الفتاكة ، وفى كثرة المال ، إلا أنك إذا تأملت فى كل منها وفى غيرها سوف تجد أنها جميعا تقوم على مدى امتلاك المعرفة التى هى أساس كل مظهر من مظاهر الحياة منذ قرون عدة كما تنبؤنا بذلك وقائع التطور البشرى ، حتى فى العصور القديمة ، حيث يقدر تقدم المعرفة بالمستوى الحضارى العام القائم فى هذه الفترة وتلك ، ولا يقاس بطبيعة الحال بما نحن عليه الآن ٠

لكن هذه المعرفة إذا نمت وتطورت فى مجتمع ، فى ظل احتكار طبقة دون غيرها ، أو تمييز لفئة دون غيرها ، أفسحت المجال لأساليب " قهر " و " ظلم " من شأنه أن يبدد الجهد الوطنى ، ويزرع الكثير من الغل والتحاسد والبغضاء ، فإذا بالمعرفة تفقد ميزة أن تكون طريق القوة القائمة على العدل ، وتصبح طريق قوة تقوم على الاستغلال والتمييز ٠

من هنا أصبح من المهم أن يترافق مع " المعرفة " ، مبدأ " العدل " ، وفقا لكل مجال من مجالات الحياة المجتمعية ، وترجمته فى مجال التعليم أن يكون هناك تكافوء فى فرص التعلم والتعليم لكل من الذكور والإناث ، لا داخل النظام التربوى فحسب ، بل وكذلك فى جملة السياقات المجتمعية بكل مجالاتها التى هى الحاضن الرئيسى لتوجه التعليم ، إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا ٠

وجماع فرص التكافوء بين النوعين فى داخل النظام التربوى ، وما يرافقه ويواكبه من سياقات مجتمعية هو ما نقصده بالعدل التربوى ، لأن " ديموقراطية التعليم " و " تكافوء الفرص " ينصرفان أكثر إلى ما يتم داخل النظام التربوى وحده ، بينما " العدل التربوى "، يضيف إلى ذلك مجموعة

من الشروط المجتمعية المتكاملة التى يمكن أن تبدد – أو تعزز – الديموقراطية وتفرغ – أو تقوى – مبدأ التكافوء من مضمونه .

ومن هنا فليست المسألة مسألة " توسع " فى تعليم المرأة ، لأن هذا يمكن أن يوحى بغلبة النظرة العددية الكمية ، وإنما هى – بالإضافة إلى ذلك – نوع هذا التعليم ، وإلى مدى تحقيقه للأهداف المرجوة منه ، وإلى أنه لا يؤدى إلى خطأ محتمل مقابل ، بأن يكون هذا التوسع على حساب تعليم الذكور ..إنه " العدل التربوى " بين جميع أبناء الوطن الواحد ، هو المنشود فى عملية النهوض الحضارى ، وهو المقصد .

لماذا هذا الموضوع ؟

فى الآية الأولى من سورة النساء نقرأ قول المولى عز وجل :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) .

وفى سورة الروم ، آية ٢١ نقرأ قوله سبحانه :

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ..

وفى سورة الأعراف ، الآية ١٨٩ ، يقول عز من قال :

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)

...

فى كل هذه الآيات – وهناك غيرها – نجد أصل العلاقة بين المرأة والرجل كما يذكرنا الله عز وجل ، فهى والرجل من نفس واحدة ، مما يؤكد على عدم أفضلية طرف على آخر ، وأن ما يحدث بعد ذلك من تمايز وتفرقة إنما هو أمر " كسبى " ، أى من خلال عمليات تنشئة ثقافية تاريخية طويلة ، بكل ما تحمله الخبرة التاريخية الثقافية من سلبيات وإيجابيات ،

وفقا لمرحلة التطور الحضارى ، حيث تغلب السلبيات فى مراحل التخلف ، وتكثر الإيجابيات فى مرحلة النهوض والبعث الحضارى ، كما تنبؤنا بذلك فلسفة التاريخ واستقراء التطور الحضارى لمختلف الأمم والشعوب ، شرقا وغربا .

ونجد أيضا من الفطرة معنى " السكن " ، نسبة إلى " السكينة " ، والسكينة تتضمن أن الطرف الموصوف بأنه سكن ، تتوافر فيه المودة والاطمئنان وراحة البال والهدوء والثقة ، ففى المعجم الوسيط نجد : " سكن إليه : استأنس به واستراح إليه " ، ومن ثم فإن ما قد يظهر خلاف ذلك إنما هو أيضا أمر " كسبى " ، أى نتاج العملية نفسها التى ينشئوها الإنسان بنفسه ويُكونها عبر العصور المختلفة .

لكن ظروفا ومتغيرات تاريخية وثقافية عديدة لا محل للإشارة إليها هنا خلقت فجوة بين " الفطرة " ، أى " الطبيعة الخاصة كما خلقها الله عز وجل " ، وبين " المآل " الذى آل إليه أمر العلاقة بين الرجل والمرأة نتيجة التنشئة ، بحيث تتجه فى غالب الأحوال فى اتجاه سيادة الأول وتبعية الثانى .

فلما بدأ انتشار الوعى والتعليم يؤتى أُكُلَه ، ويثمر وينتج ، بدأ عدد من المفكرين ينبه على أصل " الفطرة " ، وأن " التنشئة " قد باعدت بين المرأة وبين ما كان يجب أن تكون عليه ، فإذا بكتابات متعددة تسعى أن تنير وتكشف وتحلل وتدرس السبل الكفيلة بالنهوض بالمرأة فى الوطن العربى على وجه العموم ، وفى مصر ، كان كتاب رفاعة الطهطاوى الشهير (المرشد الأمين للبنات والبنين) ، وقبله أشار على مبارك بطرق غير مباشرة فى روايته (علم الدين) ، حيث جعل الحديث عنها من خلال الإشادة ببعض صور التقدم لدى الطرف الإفرنجى ، ومنها بطبيعة الحال ما أحرزته المرأة من مكاسب .

ثم كان الكتاب " القنبلة " الذى أخرجه قاسم أمين بعنوان (تحرير المرأة) ، والذى أتبعه بآخر بعنوان (المرأة الجديدة) ، ونقول الكتاب " القنبلة " ، لأنه بالفعل فجر جدلا طويلا فى مختلف الأوساط لم يقتصر على وقت ظهوره ، بل امتد بعد ذلك سنوات طويلة ، ولا نبالغ إذا قلنا أن هذا الجدل ما زال مستمرا حتى الآن !

منذ ذلك الوقت ، وأنهر الصحف والمجلات ، ثم موجات الأثير وشاشات التلفاز ، فضلا عن البحوث والكتب ، والمؤتمرات والندوات لا تكاد تنفض ، تدور جميعها ، على وجه التقريب ، حول المرأة تحريرا ومساواة وتكافوءا وحقوقا . بل إن السنوات الأخيرة شهدت على مستوى العالم مؤتمرات دولية محورها جميعا القضايا الخاصة بالمرأة ، وعلى المستوى الوطنى نجد ظهور ما يسمى " بالمجلس القومى للمرأة " !

قضية الدراسة :

والملاحظ من استقراء كل ما قيل وما كتب أن معظمه يركز على قضية " التعليم " بصفة خاصة ، فهى بالنسبة للمرأة تعد القضية الأم ..القضية المركزية ، باعتبار أن التعليم هو مفتاح الولوج إلى الكثير من الخطوات ، لو توقفنا عندها لطال بنا الحديث :

فعمل المرأة يحتاج إلى تعليم ،

ومشاركتها السياسية تحتاج إلى تعليم ،

وتطوعها فى الأعمال الخيرية ، يحتاج إلى تعليم ،

ووعيها بما لها من حقوق وما عليها من واجبات ، يحتاج إلى تعليم ،

...وهكذا فى كل شأن ورجأ .

ومن الملاحظ أيضا أن كثيرين اتجهوا إلى أن تحظى المرأة بالتعليم نفسه الذى يحصل عليه الرجل ، كصورة من صور التكافوء والمساواة ،

حتى لقد رأينا حرصا على إلغاء بعض صور التعليم الذى كانت المرأة تختص به ، بحكم ما تصوره القوم من " طبيعة " خاصة بالمرأة ، وكأن ذلك كان صورة من صور التمييز غير المرغوب فيه .

لكننا هنا نريد أن نلفت النظر إلى جانب مهم يتعلق بالعلاقة بين " التمايز " وبين " المساواة " و " العدل " و " التكافوء .

ففى التعليم الثانوى على سبيل المثال ، عندما نفرع قنواته ليكون هناك تعليم زراعى ، وصناعى ، وتجارى ، وعام ، ويتم توزيع الطلاب على هذه القنوات ، هل نمارس لا ديموقراطية وعدم مساواة بين الطلاب والطالبات لأننا " مايزنا " بين تعليم وتعليم ، وبين مريدى تعليم ومريدى تعليم آخر ؟

وفى التعليم الجامعى ، عندما تكون هناك سبل متعددة تتنوع بين تعليم طبى وآخر هندسى ، وثالث زراعى ، ورابع تجارى ..إلخ ، يتوزع بينها الطلاب ، ويكون هناك تمايز شديد فى مواد التعليم ، هل يعد هذا خروجا عن العدل والديموقراطية والتكافوء والمساواة ؟

الإجابة ... هى بالنفى !

فسنة الله فى خلقه ، أن يكون هناك " اختلاف " وتباين " بينهم بحيث يُنظر إلى الاختلاف باعتباره " نعمة " لا نقمة :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ، سورة الحجرات .

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢)) سورة الروم .

(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)) سورة يونس .

(إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)) سورة يونس .

٠٠٠وغير هذه الآيات الكريمة ، آيات أخرى كثيرة ، تؤكد على سنة الاختلاف ، كصورة من صور القدرة الإلهية ، وباعتباره " منة " من الخالق على خلقه ، وهذا يؤكد أن الاختلاف ليس شرا فى كل الأحوال ، بل هو ضرورة ٠

وإذا كان الاختلاف سنة كونية مؤكدة ، إلا أن هذا الاختلاف لا يعنى " الصراع " ، كما ذهب إلى ذلك بعض المفكرين وبعض المذاهب ، وخاصة الماركسية (إلياس فرح ، ص ٤٤) ، وإنما مفروض أن يؤدى إلى " التعارف " ٠٠التفاهم المتبادل ٠٠التعايش ٠٠٠الحوار ، وهو ما أفاض فيه ابن خلدون كثيرا فى مقدمته (ص ٣٤٠) ، من حيث أن هذا الاختلاف والتباين هو السبيل الذى يرغم الناس على " تبادل المنافع " ، سواء فى السلع المادية أو السلع الفكرية ، فيكون لديك ما ليس لدى ، ويكون لدى ما ليس لديكم ، ويكون هذا مدعاة للتعاون والتفاعل ، ولن كان هذا ، فى غيبة منظومة أخلاقية سوية ، أحيانا ما دفع البعض ، على المستوى الفردى ، وعلى مستوى الدول ، إلى الوقوع فى براثن الصراع والتقاتل ٠

نقول هذا ونؤكد عليه ، لأن كثيرين مع الأسف الشديد ، فى غمرة حماسهم لأن تنال المرأة ما حرمت منه من حقوق ، اندفعوا لإلغاء التمايز والاختلاف ، فى ظل وهم بأن التمايز يعنى الظلم والقهر بالضرورة ٠

لكننا هنا إذ نقول بوجود تمايز ، نقول أنه كما التمايز فى القدرات والاستعدادات بين كل الناس ، بما فيهم الرجال بطبيعة الحال ، ومن ثم **فلا بأس من وجود ما تختص به المرأة من مواد التعليم ، فإلى أى حد وعلى أى نحو يمكن أن يكون ذلك ؟**

مقصد الدراسة :

بطبيعة الحال ، هناك من سوف يهب معارضا لأن تتمحور قضية الدراسة حول نوعية من التعليم تكون خاصة بالمرأة ، ونذكر هؤلاء بما تخصصه الإذاعات من برامج خاصة بالمرأة ، وكذلك الصحف والمجلات ، فنجد مجلات خاصة بالمرأة ، دون أن يحفل أحد بأن يكون للرجل كذلك مجلة تختص به .

بل وشهدنا منذ عدة سنوات بمجلس " قومى " للمرأة ، كما سبق وأن أشرنا من قبل..

وهناك أمر أخير فى هذه القضية بالذات ، وهى أن الجهود المبذولة على طريق النهوض بالمرأة ، إنما هى " معركة " ثقافية وتربوية واجتماعية وسياسية ، واقتحام مثل هذه المعارك ، إذا كان يقتضى حسن وعمق ودقة الدراية بأحوال " الآخر " ، سواء تمثل فى " أشخاص " أو فى " مشكلات " أو فى " ظروف وأحوال " أو فى " صعاب وعقبات " ، فإنه يتطلب كذلك دراية عميقة وفهما أوسع ، ووعيا أبصر بالذات ، ونذكر هنا صيحة سقراط الشهيرة : اعرف نفسك ...

كما نذكر بنصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد : ابدأ بنفسك ثم بمن تعول !

وما معنى هذا ؟

معناه ضرورة أن يكون هناك حرص على أن تتوافر لدى المرأة دراية متعمقة بذاتها...

وأن يتوافر لدى المرأة وعى بتكوينها ...بأحوالها ...بمشكلاتها ...بوظائفها ...بمتطلباتها ...باحتياجاتها ...

دراية تعينها على حسن المواجهة ورشد التصرف ...

ووعيا يساعدها على امتلاك ما هى بحاجة إليه من مهارات وقدرات لازمة لبناء شخصية ذات كفاءة على المستوى الشخصى وعلى المستوى الاجتماعى ٠

وهذا ما نحاول من خلال الدراسة الحالية أن نتناوله ٠٠

دراسات سابقة :

الحق نقول ، أن من العسير على باحث أن يستقصى كافة البحوث والدراسات التى أجريت عن قضية تعليم المرأة عامة وما يتصل بشأنها النسوى خاصة ، وخاصة فى السنوات الأخيرة التى شهدت زخما لم يسبق مثله مناقشة وبحثا ودراسة وحديثا عن كل ما يتصل بالمرأة ، ومن ثم فإن الدراسات التى سوف نشير إليها فيما يلى إنما هى أمثلة ونماذج ، ربما تكون هى الأقرب لقضية الدراسة الحالية ٠

- **دراسة زينب محمد فريد** : تطور تعليم البنت فى مصر فى العصر الحديث ، وهى رسالة ماجستير تمت فى كلية البنات بجامعة عين شمس سنة ١٩٦١ ، واقتصرت على الفترة الواقعة من حكم محمد على حتى بداية الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ، ومن الواضح أنها وإن تناولت جزءا من الدراسة الحالية ، إلا أن هذا الجزء احتل بضع فقرات تمهيدية لم تدخل فى قلب القضية تماما ٠
- **دراسة زينب محمد فريد** : وهى الخطوة التالية التى حصلت بها الباحثة على درجة الدكتوراه ، من كلية البنات بجامعة عين شمس عام ١٩٦٦ ، وكان موضوعها (تطور تعليم البنت فى مصر من الاحتلال البريطانى ١٩٩٢ حتى عام ١٩٥٢) ، وما قلناه عن الدراسة الأولى هو نفسه يمكن قوله بالنسبة للدراسة الثانية ٠

- **دراسة مصطفى سويف (إشراف)** : تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة ، وهو بحث قام به فريق تابع للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عام ١٩٧٤ ، وربما كانت الدراسة الأقرب للدراسة الحالية هى الدراسة الأولى التى قام بها " عبد الحليم محمود السيد " ، ضمن هذا الفريق ، وكانت عن (تطور تعليم البنات فى مصر والمشكلات المصاحبة له) ، حيث أفادتنا بقدر من المعلومات التاريخية ، وإن كانت بحكم وظيفتها لم تتعمق الكثير مما لحق بتعليم المرأة من تطورات .
- **دراسة زينب حسن حسن** : دراسة وتقويم للجهود المبذولة لمحو أمية المرأة فى كل من المجتمعين المصرى والسعودى ، وهى رسالة حصلت بها الباحثة على درجة الدكتوراه من كلية البنات بجامعة عين شمس عام ١٩٧٩ ، وهى أيضا لا تقرب إلا قليلا من الدراسة الحالية ، وإن أفادت فيما تضمنته من تأكيد على العلاقة الوثيقة بين تعليم المرأة والتنمية المجتمعية .
- **دراسة عبد المنعم حسين شوقى (إشراف)** : احتياجات المرأة فى صعيد مصر ، دراسة تطبيقية ، وتمت الدراسة فى كلية الآداب بجامعة المنيا ، بدون تاريخ ، لكن خطابا مرفقا بالنسخة التى توافرت لدينا يفيد أنها تمت فى عام ١٩٨١ ، وكانت العينة من النساء الأميات فى الغالب ، ومن أبرز هذه الاحتياجات المشار إليها حاجتهن إلى التعليم .
- **دراسة سامية مصطفى الخشاب** : المرأة والعمل المنزلى ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، عام ١٩٨٣ ، حيث أشارت الباحثة إلى أن قضية العمل المنزلى للمرأة قد أهملت طويلا من جانب علماء الاجتماع فى العصر الحديث حيث تركز جهدهم فى

خروج المرأة للعمل ، وهى القضية التى تتصل اتصالا وثيقا بالدراسة الحالية ، وهو ما سوف نشير إليه بشى من التفصيل فى جزء تال ٠

- **دراسة سعيد عبد الحميد محمود السعدنى** : دراسة تقويمية لتعليم المرأة فى القطاع الريفى فى ضوء احتياجات التنمية ، وهى رسالة دكتوراه تمت أيضا فى كلية البنات بجامعة عين شمس ، عام ١٩٨٦ ، حيث اقتصرت كما هو واضح على القطاع الريفى ، متناولة التعليم بصفة عامة ٠
- **دراسة فاطمة على السعيد جمعة** : قضايا تربية البنت وتعليمها عند رائدات الحركة النسائية فى مصر من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٥٢ ، وهى رسالة ماجستير تمت فى كلية التربية بجامعة عين شمس عام ١٩٨٨ ، وقد أفادت منها الدراسة الحالية فى الجزء الخاص بالخبرة التاريخية المصرية ٠
- **دراسة فتحية عبد الجواد أحمد** : مستوى التعليم وتنمية وعى المرأة بأدوارها فى المجتمع ، وقد تمت فى كلية التربية بجامعة عين شمس ، ونالت بها الباحثة درجة الدكتوراه عام ١٩٩٢ ، حيث أكدت على الارتباط الإيجابى الواضح بين مستوى التعليم ووعى المرأة بأدوارها فى المجتمع ٠
- **دراسة نادية عبد الجواد الجروانى** : العائد الاجتماعى لبرامج محو أمية المرأة العاملة ، دراسة مطبقة على إدارة الجيزة لمحو الأمية وتعليم الكبار ، رسالة دكتوراه من كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان عام ١٩٩٩ ، وهى مقتصرة بذلك على أمرين ، أولهما " المرأة العاملة " ، والثانى " محو الأمية " ، مما يغايرها عن الدراسة الحالية على حد ما٠

- **دراسة نعمات عبد الناصر أحمد صالح** : أثر التركيب الطبقى على التعليم العالى للمرأة فى جامعة أسيوط ، دراسة ميدانية ، كلية التربية بجامعة أسيوط ، عام ٢٠٠٠ ، وبذلك استهدفت التعرف على مدى تحقيق تكافوء الفرص التعليمية للإناث فى التعليم العالى بدلالة الواقع التعليمى والتركيب الطبقى لهن ٠
- **دراسة فاطمة مصطفى عبد الجواد** : العائد الاجتماعى من تعليم المرأة المصرية ، دراسة ميدانية ، تمت بكلية البنات بجامعة عين شمس ، ٢٠٠٦ ، حيث سعت إلى الكشف عن واقع العائد الاجتماعى من تعليم المرأة المصرية بانقضاء العقدين الأخيرين من القرن العشرين ٠

التعليم ٠٠حقا :

لا نريد استفاضة فى بيان ما يمثله التعليم من " ضرورة " و " حق " لا للمرأة وحدها وإنما بالنسبة لكل إنسان ، صغر أو كبر ، فذلك حديث فاضت به الدراسات منذ عشرات السنين ، وإنما نريد أن نوجز فقط ما يتصل بالوجه الدينى بالنسبة للمرأة خاصة ، لا لشئ إلا لأن البعض مع الأسف الشديد ، وخاصة من جانب بعض الغربيين ومن تابعوهم من بنى جلدتنا ، صوروا التخلف التعليمى للمرأة الذى ران على مجتمعاتنا حقبا طويلة ، باعتباره جزءا من المسئولية الدينية ، وكأن الإسلام كان عقبة أمام المرأة للتعلم والتعليم ، فهذا وهم مؤسف ، والمسألة إنما تعلقت بأوضاع مجتمعية وظروف حضارية ، لا نقول " منعت " أو " حجبت " التعليم عن المرأة ، وإنما نقول " أخرت " و " أبطأت " ٠٠

ففى صدر الإسلام كان على نساء النبى صلى الله عليه وسلم مسئولية التعلم والتعليم ، وفى هذا نذكر قول الله تعالى يخاطبهن :

(وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)) سورة الأحزاب .

وآيات الله هنا هى القرآن الكريم ، والحكمة هى سنة النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان بيت رسول الله مدرسة تعاونه فيها نساؤه ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور المرأة المسلمة وشئونها الخاصة ، فضلا عن متابعتهن الدقيقة للكتاب والسنة ، وكان للسيدة عائشة فى ذلك النصيب الأوفى من رواية الحديث . وكانت رضى الله عنها مرجعا للصحابة فى ذلك ، ويروى ابن سعد فى طبقاته : عن أبى موسى رضى الله عنه قال : ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون فى شئ إلا سألوا عنه عائشة رضى الله عنها فيجدون من ذلك عندها علما.

وإذا كان الخطيب البغدادى قد روى ما كان للمرأة من جهود تعليمية فى القرن الخامس الهجرى ، وكذلك ابن عساكر ، فإنها ظلت بعد ذلك تأخذ مكانها فى مجالس العلم شيخة تجيز الرجال ، إلى القرن التاسع والعاشر للهجرة . وكانت الأمة تبارك مجالس العلم فتتصدرها شيخات مسلمات يجزن الرجال فى مجالس الحديث والرواية ، ففى مشيخة الإمام جلال الدين الأسيوطى ، نجد عشرين شيخة تصدرن السماع ، أى سماع الأحاديث والدروس (ديموقراطية التربية الإسلامية ، ص ١٠٦) .

وربما يظن أن المتعلمات أو السيدات الراويات كن من الطبقات التى ترتزق بالرواية أو شئ من هذا ، أو ممن لسن فى مستوى الفقه الإسلامى للتمثل بمبادئ الإسلام ، فالذى يسجله التاريخ أن الشيخة سارة أم محمد ابنة شيخ الإسلام السبكى كانت إلى ذلك العصر تجيز الرجال وتحضر مجالس السماع وترأسها .

وبين أيدينا كتاب " سراج الدين البلقينى " – وقد كان شيخ الإسلام وحافظ الدين فيه – نجد أن فى كل مشيخات العلماء سيدات مسلمات ٠ والتاريخ يذكر أن مالك بن أنس كان يريد أن يتعلم الغناء ، فوجهته أمه إلى الحديث ، وكذلك كانت أم الإمام الشافعى هى التى رعته (المرجع السابق ، ص ١٠٧) ٠

كذلك يمكن الاستدلال مما ورد فى بعض الآيات القرآنية على ضرورة تعلم المرأة للكتابة ، والتى هى المدخل الضرورة للتعلم والتعليم ٠

وإذا كان الخطاب فى مثل هذه الآيات بصيغة التذكير ، إلا أنه شامل للنساء إلا بمخصص يخرجهن من نص أو إجماع أو بضرورة طبيعية ، لأن النساء شقائق الرجال فى التكليف ، ولا خلاف فى أنه إذا اجتمع النساء والرجال ، ورد الخطاب أو الخبر مذكرا على طريقة التغليب (ابن باديس : من هدى النبوة ، ص ١٣٣) ٠

وتأمل قوله تعالى (وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا)) البقرة / ٢٨٢ ، وقوله فى نفس الآية (٠٠٠ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) ، كيف نص فى الثانية على الرجال لما كان مقتضيا لهم ، وأطلق فى الأولى ، فدل على أنه لا فرق بين أن يكون الكاتب رجلا أو امرأة ، وهو من الأدلة على وجوب تعلم النساء الكتابة ٠

وهكذا نجد العديد من الأدلة ، سواء فيما يتعلق بنصوص القرآن الكريم ، أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بعض خبرات الحضارة الإسلامية ، مما ذكرناه موجزا للغاية ، ومما لم نذكره ، أنه لا صحة للزعم بمسئولية الإسلام عما عانته المرأة من تخلف تعليمى ٠

والغريب بهذا الخصوص أن ما يتعلق بلباس المرأة يحرص البعض على التحاكم إلى السياقات الحضارية دون النصوص ، فلم لا تكون السياقات الحضارية هى أيضا وراء مثل هذا التخلف الذى ران على عقل المرأة وليس النصوص ؟!

إرهاصات الخبرة المصرية الحديثة :

الحق أنه يقابلنا فى نشأة تعليم البنات فى مصر أمران غريبان بعض الشئ ، قد يبدو بينهما ، لأول وهلة تناقض ..

فتعليم الإناث بدأ أهليا واستمر كذلك قرونا ، ولم تضعه السلطة القائمة فى اعتبارها أبدا ، حتى انقضاء الربع الأول من القرن التاسع عشر .

وفى الوقت نفسه ، فإن الدولة عندما بدأت تقوم بأمر هذا التعليم ، إذا بخطواتها تسبق خطوات الناس أنفسهم ، وعهدنا بحكومات الدول المتخلفة أن تتسم بالمحافظة ، لكن الأمر هنا اختلف ، فالجماهير نفسها هى التى اتخذت موقف محافظة ، وكانت الحكومات على العكس من ذلك .

وهو الأمر نفسه الذى حدث فى المملكة العربية السعودية ، عندما قرر الملك " فيصل " عام ١٩٦١ أن تُنشأ مدارس لتعليم البنات ، فعارضه الناس ، بل ولجأ البعض إلى هدم المبنى ليلا !!

أما تفسير الموقفين ، فهو أن جماهير الناس ، أو بمعنى أصح ، بعض هذه الجماهير ، كانت تعلم بناتها فى المنزل ، عن طريق معلم خاص أو معلمة ، تعليما دينيا يقتصر على تحفيظ القرآن الكريم ، أو بعض أجزائه ، مع القراءة والكتابة ، بالنسبة للفقراء وأوساط الناس ، لكن هؤلاء لم يتقبلوا بسهولة أن تخرج البنت إلى مكان غير بيتها تتلقى فيه التعليم ، مما جعلهم يحجمون عنه بالصورة التى قدمتها الدولة . وكانت بعض العائلات الأرستقراطية فى مصر تجئ بمعلم أو معلمة لتعليم بناتهن لغة أجنبية أو

الموسيقى أو بعض المعارف والأصول الاجتماعية الحديثة حتى يُحسِنّ التعامل فى مجتمع هذه الشريحة الاجتماعية ٠

وفضلا عن ذلك ، فلا ينبغى أن نغفل عن نوعية الحياة الخاصة بالإناث طوال حقب متعددة ، سواء من حيث " النظرة " إليهن ، أو من حيث المستوى التقنى لما كانت تقوم به من أعمال داخل المنزل ٠

أما من حيث " النظرة " إليهن ، فقد اتسمت بقدر من الدونية ، لا تتعامل معها من منطلق " الشراكة " الإنسانية عامة ، والشراكة الأسرية خاصة ٠٠نظرة حاكم لمحكوم ، وأحيانا نظرة المالك للمملوك ، فضلا عما اتسمت به هذه النظرة من اعتبارها موضعا للمتعة الجنسية بصفة أساسية ، وما يترتب على هذا من حمل وولادة ٠ ومثل هذه النظرة لم تر ضرورة فى التثقيف والتعليم والتنوير ٠

ومن حيث المستوى التقنى للعمل ، فقد استمر حقبا طويلة يقف عند حدود دنيا من البدائية ، سواء إذا كان عملا يتصل بالمنزل ، أو يتصل بمساعدة الزوج فى الحقل أو المتجر أو أى شأن من الشئون الاقتصادية ، ومثل هذا المستوى كان يكفى فيه التقليد والمحاكاة ، والاكتفاء بالخبرة ، وندرة الاحتياج إلى معرفة القراءة والكتابة ٠

ولعل أبرز ما يؤكد هذا هو ما جرى بالنسبة للتعليم الصحى أثناء فترة النهوض العلمى فى عهد محمد على ، حيث أدى قيام مدرسة خصوصية للطب على النمط الغربى الحديث أن تلحق بها مدرسة للولادة سنة ١٨٣٢ ، وأن تتم الولادة وفقا للمستوى العلمى الحديث ، على غير ما كان سائدا من الاعتماد على " الداية " ، أو " القابلة " ، فتقدم النوع الأول فرض تعليما للأنثى حيث رؤى أنها أنسب من يقوم بعمليات التوليد ٠

ومع ذلك فإن محمد على ، الذى لم يكن يأبه بمعارضة الناس ، حتى ولو فكروا فى ذلك ، لم يجروء أن يفكر فى الاعتماد على إقبال العائلات

المصرية لإرسال بناتها للالتحاق بالمدرسة ، فاعتمد على فئات هامشية من أغوات الحرم ومن الجوارى اللاتى يسهل جمعهن وليس لهن من الأهل ما قد يقفون عقبة فى طريق الحكومة .

وعندما مر بعض الوقت وأثبتت التجربة قدرا من النجاح بدأت الحكومة تتشجع فى ضم تلميذات مصريات ، لكنهن أيضا لم يكن من بنات العائلات ، فقد كانت ست فتيات فقيرات يعالجن بمستشفى أبى زعبل ، فلما تم شفاؤهن لم يتقدم أحد لتفقدهن أو أخذهن أحد ، إذ كن يتيمات محرومات من الأهل ، فألحقهن كلوت بك بمدرسة الولادة (تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٢٩٧) .

وهكذا غابت الإناث عن حركة النهوض التعليمى الضخمة التى شهدتها مصر زمن محمد على إلا من هذا المنفذ الضئيل المتمثل فى مدرسة الولادة ، واستأثر الذكور بالجهد كله ، فضلا عن أن التعليم التقليدى الذى كان قائما فى الأزهر كان هو بدوره يقتصر على الذكور .

وفى ٢١ مارس سنة ١٨٦٧ ألفت لجنة عهد إليها بدراسة مشروع لتعليم البنات ، وإبداء رأيها فى إنشاء مدرسة خاصة لهن (تاريخ التعليم فى مصر ، ج٢ ، ص ٣٥٧) ، وتم بالفعل وضع لائحة للمدرسة وبرنامجا للدراسة ، وتقرر أن تتسع لنحو خمسمائة بنت تتراوح سنهن بين التاسعة والحادية عشر ، وتكون مدة الدراسة بها خمس سنوات ، وجرت استعدادات متعددة لتنفيذ المشروع ، لكنه لم ير النور مع الأسف الشديد .

وكان على الإناث أن ينتظرن حتى عام ١٨٧٢ ، عندما أوعز الخديوى إسماعيل إلى إحدى زوجاته – تشسما آفت خانم – بأن تكون أول مدرسة إسلامية تفتح فى مصر لتعليم البنات على الطريقة الغربية من عملها ، فاشترت الأميرة سراى قديمة بالسيوفية وجددت بناءها ، فصيرتها مدرسة وفتحت أبوابها للطالبات فى ربيع سنة ١٨٧٢ ، وهى السنة التى

غرقت فيها القاهرة فى احتفالات تزويج إسماعيل لأبنائه الذكور الـثلاث : توفيق ، وحسين ، وحسن ٠

ولكن ، على الرغم من أن تلك المدرسة جعلت داخلية مجانيـة ، وأن البنات استدعيت إليها من جميع الشرائح الاجتماعية ، بغير تمييز مذهبى أو اجتماعى ، وعلى الرغم من أن المعيشة فيها جعلت هنيئة فاخرة ، لم يقـع فى خلد أحد من الأهالى فى بادئ الأمر أن يبعث بابنته إليها ، لشدة تـسلط الأوهام الموروثة بغير تفكير ناقد يبدد أسسها الواهية ٠

ومن هنا لم تجد الأميرة عدد التلميذات اللازم لمدرستها ، واضطرت إلى أخذ فتيات الجوارى البيض من بيتها وبيوت أميرات الأسـرة المالكـة وأسرائها وإدخالهن فيها ٠

لكن ، لكل ليل آخر ٠٠

فما أن مرت فترة قصيرة بعد ذلك ، حتى وجدنا العيون قد تفتحـت ، والعقول بدأت تزيل ما ران عليها من غبار السنين ، فتشتد الرغبة فى تعليم البنات من قبل الأهالى من فئات مختلفة ، ويطلبن المزيد ، وتزيد سـرعة عجلة التطور إلى أمام ٠٠٠

ومما لابد من التنويه به أن كتاتيب مشتركة قامت فى هذه الفتـرة ، وإن كنا لا نملك ما يشير إلى زمن بدايتها ، وقد نص قانون سـنة ١٨٩٥ على أن يقبل بكتاتيب نظارة المعارف من الأطفال " سواء من الـذكور أو الإناث " من تجاوز سنه خمس سنوات " ٠

وتشير إحصاءات سنة ١٩٠٣ إلى أن البنات تواجدن فى ٨٦ كتابـا من ٩٣ كانت تديرها الحكومة ، ولم يتعلمن فى حجرات خاصة بهن إلا فى ١٣ كتابا ، وكان ثلاث من هذه الكتاتيب التى تدخلها البنات بها أكثر مـن ٦٠ بنتا ، وستة بها أكثر من ٣٠ بنتا ، و١١ كتابا بها أكثر من عشرين بنتا (زينب محمد فريد ، ج١ ، ص ٧٤) ٠

وكان فى كتاب السيدة عائشة السطوحية الذى كان تابعا لنظارة المعارف وقائما فى ميدان الجمالية سنة ١٩٠٤ ، ثمان وثمانون طفلا من الذكور والإناث ، فى سن يتراوح بين خمس سنوات ، وأربع عشرة سنة ، كلهم يزدحمون فى حجرة واحدة لا تزيد مساحتها عن أربعة أمتار مربعة ، مما يترافق مع هذا من افتقاد شروط الصحة على أقل تقدير .

ومما هو جدير بالنظر حقا أنه كانت هناك ٤٤٧ بنتا عمياء فى الكتاتيب سنة ١٩٠٩ .

وظهر أول كتاب حكومى خاص بالبنات سنة ١٩٠١ ، هذا فى الوقت الذى كانت فيه الكتاتيب الأهلية للبنات أكثر وأسرع نشاطا ، فأمين سامى (مصر والنيل ، ص ٣١) يذكر أنه من بين ٤٦٩٦ كتابا أهليا سنة ١٨٧٥ ، كان منها ١٤ كتابا للبنات فيها ٢١٣ بنتا .

على أن أهم ما تبرزه وثائق تاريخ التعليم ، هو ذلك التمييز الذى استمر طويلا ، بين مناهج تعليم الذكور ، ومناهج تعليم البنات ، فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، حيث كان العبء على البنات أكبر ، لإيجاب تعلمهن مواد لا يدرسها الصبية ، وذلك تحت تأثير فلسفة ترى أن البنت لابد أن تمارس دورا متميزا لا يقوم بها الذكور ألا وهو ما يتصل بشئون المنزل من طهى وكى وغسيل وتنظيف وتربية أطفال ، وغير هذا وذاك مما يتصل بإدارة البيت وتسيير أموره .

وعلى سبيل المثال ، ففى خطة الدراسة بالمدارس الأولية سنة ١٩١٦ ، نجد أن مجموع ساعات الدراسة فى كل مادة ، طوال السنوات الأربع كان كما يلى (تعليم المرحلة الأولى فى مصر ، ص ١٥١) :

جدول رقم (١) يبين خطة الدراسة فى المدارس الأولية عام ١٩١٦

	بنون	بنات
قرآن	٣١	٢١
تعليم دينى	٨	٧
لغة عربية	٤٧	٤١
خط	٢٢	١٥
حساب	٢٨	٢٤
أشياء	٦	٣
تدبير	٥	٥
جغرافيا	١	١
أشغال حقل	--	١١
أشغال إبرة	--	١٧
رسم	١	٦

ولم يتغير هذا التمييز إلا فى عهد ثورة يوليو ٠

ونستطيع أن نوجز الصورة العامة لتزايد إقبال البنات المصريات على مستويات التعليم المختلفة ، وذلك بأن نقارن – فى وقت واحد – بين أعداد البنات فى كل مرحلة من مراحل التعليم (الابتدائى والثانوى والجـامعى) بنسبة البنات إلى جملة البنات والبنين منذ عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٧٠ كما يلى :

جدول رقم (٢) يوضح أعداد البنات ونسبتهن على جملة البنات والبنين في مختلف مراحل التعليم من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٧٠

السنة	الابتدائى		الثانوى		الجامعى	
	عدد البنات	%	عدد البنات	%	عدد البنات	%
١٩٢٠	٢١٧٤٧	٢٤,٥	٢٨	٠,٨٥	---	---
١٩٣٠	١٠٩٧١٥	٢٩	٩٢٨	٥,٨٧	١٦	٠,١٤
١٩٤٠	٢٧٧٤٩٠	٣٥	٢٥٠٣	٦,٢٩	٣٤١	٤,٥
١٩٥٠	٣٦٨٨٠١	٣٨	١٤٥٢١	١٢,٢٦	١٨٢٤	٥,٤
١٩٦٠	٩٩٧٢٦٦	٣٨	٢٨٧٤٨	٢١,٠	١٢٢٩٤	١٥,٩٥
١٩٧٠	١٤٢٢٢٦٢	٣٨	٩٥٠٧٦	٣٢,٠	٦٠٩٢٣	٢١,٢٤

المصدر : سويف ، ص ٥٧

ومن أبرز الملامح التى تشير إلى تزايد الوعى بضرورة تعليم المرأة ظهور الصحافة النسائية وتركيزها على قضية التعليم ، ونشير على نموذج لهذه الصحافة ، مجلة (المرأة المصرية) (١٩٢٠- ١٩٣٩) أصدرتها " بلسم عبد الملك " ، والتى بدأت حياتها بالتدريس فى المدارس الابتدائية التابعة للجماعات القبطية ، ثم عينت ناظرة لإحدى المدارس فوجهت البنات توجيها واضحا ، وقوبلت المجلة بترحيب واضح ، حتى لقد قدرت وزارة

المعارف أثرها فاشتركت فيها لمدارسها ، كما ساهمت في تحريرها فضليات السيدات (زينب فريد ، ج٢ ، ص ٤٠٦) .

ولعل أهم ما يلفت النظر هو أن الشيخ مصطفى عبد الرازق – أستاذ الفلسفة الإسلامية الشهير – حرص على الكتابة فيها ، وكان مما كتبه مقال عن مركز المرأة فى الهيئة الاجتماعية فى البلاد ، جاء فيه :

" فتر الكلام فى تحرير المرأة لأن المرأة أصبحت حرة بالفعل ، ولا تقف فى سبيل حريتها إرادة الرجل ...بقى الكلام أيها السيدات فى أمر النهضة النسائية ، ذلك أن الحرية وإن كانت أعز ما يحرص عليه الفرد والجماعة ، فإنها ليست هى الرقى ، ولكنها أساس للرقى " (المرجع السابق) .

والغريب أن وزير المعارف " أحمد زكى ابو السعود ، عندما أصدر قرارا بإحلال مدرسات مصريات مكان مدرسات أجنبيات ، انتقده الدكتور طه حسين على صفحات جريدة (السياسة) ، وذلك بفعل ما كان بين الإثنين من خصومة ليس هنا مكان تناولها ، فإذا ببلسم عبد الملك تنتقد رأى طه حسين وتمتدح قرار الوزير (المرجع السابق ، ص ٤٠٨) .

وإذا كانت أول مدرسة تجهيزية (ثانوية) للبنين قد ظهرت فى قصر العينى فى مصر سنة ١٨٢٥ ، فإن أول مدرسة ثانوية للبنات لم تظهر إلا بعدها بنحو قرن ، وكان التمهيد لظهورها حدث كان مثار قيل وقال ، ذلك أن " نبوية موسى " ، بعد أن تخرجت من المدرسة الابتدائية ، وجدت أن قانون الامتحانات ليس فيه ما ينص على اقتصاره على البنين دون البنات ، فقدمت طلبا بالسماح لها بدخول امتحان الثانوية ، ورفض المستشار الإنجليزى السماح لها بذلك عام ١٩٠٦ ، ثم اضطر إلى القبول عام ١٩٠٧ ، حيث ظهرت قوائم الناجحين من الذكور ، ولأول مرة فى تاريخ التعليم الحديث فى مصر ، تضم هذه القائمة اسما لفتاة .

وتضم مذكرات نبوية موسى (ص ٨٢ وما بعدها) ، الكثير من " المقاومة " الاجتماعية لخطوتها ، سواء من جانب الجهات الرسمية ومن جانب الجماهير نفسها ، من حيث الاستهزاء والسخرية .

وقامت أول مدرسة ثانوية للبنات فى ديسمبر عام ١٩٢٠ بالقاهرة ، وذلك " حتى يفتح أمام خريجات المدارس الابتدائية باب الوصول إلى الاستزادة من العلوم الحديثة واللغة العربية وتحصيل بعض اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية والتجمل ببعض الفنون كالرسم والموسيقى وذلك لإعداد الطالبات للدراسة العالية فى الطب ومهنة التعليم ، إن كن يرغبن فى ذلك ، أو لمجرد ترقية مستواهن الخلقى والعلمى إن رأين الوقوف عند نهاية الدراسة الثانوية " (تقرير يبين حال التعليم الذى تتولاه وزارة المعارف أو تشرف عليه من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٢٢ ، ص ٣١) .

ويبين هذا النص اختصاص البنات بتعلم عدة مواد معينة ، وأن الهدف " العملى " من التعليم للبنات هو التهيئة للعمل بالمجال الطبى أو التدريس فقط ، وهذا ليس هو الهدف الأساسى ، لكن الأساس هو "ترقية مستواهن الخلقى والعلمى " .

وكان عدد الطالبات فى العام الأول ٢٨ طالبة قفز إلى ٤٤ فى العام التالى ، ثم إلى ١٢١ ، مما يبين مدى السرعة فى التغير الحادث من موقف الرأى العام من هذا التعليم .

وإذا ما قفزنا إلى عهد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فسوف نجد أن قراءة دستور ١٩٥٦ تورد نصوصا واضحة وصريحة تؤكد على كثير من حقوق المرأة ، مثل :

" تيسر الدولة للمرأة التوفيق بين عملها فى المجتمع وواجباتها فى الأسرة " ، مادة ١٩

" المصريون لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو الدين أو العقيدة " ، مادة ٣١

" التعليم حق للمصريين جميعا " ، مادة ٤٩ .

كذلك فإن ميثاق العمل الوطنى الذى صدر عام ١٩٦٢ ، حمل من النصوص ما يعزز من هذه الحقوق ، خاصة وكان قد مضى من عمر الثورة عشر سنوات ، بلغت خلالها درجة عالية من نضج الخبرة واتساع الأفق ، فمن ذلك :

" فالمرأة وقد كافحت من أجل الحصول على حق الشعب فى الحصول على الحرية والحياة ، فمن حقها أن تسترد حقوقها " .

" والمرأة لابد أن تتساوى بالرجل ، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة ".

تعليم نسوى :

وإذا كان التعليم فى مصر قد عرف من قبل ما كان يسمى " بالتعليم النسوى " ، فإن هذا التعليم كان يلاقى رواجا مدهشا ، وأبرز مظاهره ما كان يسمى بمدارس الفنون الطرزية ، التى بدأ النشاط فيها واسعا فى التعليم " الحر " ، وهو الإسم الذى كان يطلق على التعليم الخاص ، وخاصة فى أواخر الثلاثينيات من القرن الماضى ، ووصل عددها فى العام ٥١-١٩٥٢ إلى ثمانى مدارس كان بها ٧٩٦ تلميذة ، وهو عدد كبير بمقاييس هذا الزمان (زينب فريد ، ص ٦٣١)

ولما تبين لوزارة المعارف شدة الإقبال على هذا النوع من التعليم استشعرت شدة الحاجة إلى إيجاد نوع من المدارس للبنات يلتحقن به بعد

إتمام الدراسة الابتدائية بنجاح ، ويتلقون فيه قدرا واسعا من مواد الثقافة النسوية ، وقدرا مناسبا من مواد الثقافة العامة بما يؤهلهن لأن يكن فى المستقبل ربات بيوت لهن من الثقافة النسوية ما يساعدهن على الاضطلاع بمهمتهن الخطيرة بدرجة تتفق والرقى الاجتماعى الذى بلغته البلاد ، ولذلك صدر القرار رقم ٤٧١٨ فى يونيو سنة ١٩٣٧ بأن تنشأ مدرسة للثقافة النسوية للبنات بالقاهرة ، تكون مدة الدراسة بها أربع سنوات (المرجع السابق ، ص ٦٣٤) .

وقد كان من الطبيعى أن تحتل هذه القضية مكانة مهمة فى كتابات بعض المفكرين ، وبالذات من النساء أنفسهن ، خاصة وقد كان التقدم الحضارى قد بدأ يزحف ، دافعا المرأة معه إلى مجالات متعددة من العمل خارج المنزل ، مما فرض تساؤلا : إذا كانت المرأة لم تعد فقط ربة منزل ، فهل يظل هذا التعليم النسوى قائما ؟

فقد رأت " باحثة البادية " ضرورة الاهتمام بالمجالين معا : المجال النسوى ، والمجال المعرفى العام ، فتكون الفتاة متعلمة مثقفة واعية متقنة لأعمال منزلها ، تدبر شئونه بصورة علمية حديثة تختلف عما سلكته نساء الأمس وقبل الأمس (فاطمة على ، ص ١٦٩) .

أما " لبيبة هاشم " فقد كانت لها نظرة أكثر تطورا عن غيرها ، فقد رأت أن المواد النسوية لا تعنى فنون التطريز والحياكة والطهى ، وإنما تطلق عليها " فنون نسوية " ، ويمكن للفتاة أن تتعلمها فى المنزل على يد والدتها أو معلمة لتلك الفنون ، أما المواد النسوية التى تؤهل للزوجية والأمومة ، فهى " المواد التربوية " ، فتتلقى الفتاة دروسا مختلفة فى التربية الصحية ، وكيف تهتم بصحة أبنائها ونظافتهم ، وكيف تقيهم الأمراض ، لا بالإفراط فى رفاهيتهم ولا تركهم للقانورات ، ولكن بالاعتدال والمحافظة

عليهم ، مع التعرض للمؤثرات المختلفة حتى يكتسب الجسم مقاومة ومناعة.

كذلك أكدت لبيبة على أهمية تعليم ما يتصل بالغذاء وتكوينه ، وأفضل أسلوب لتقديمه ، وبذلك أكدت على الأمور البدنية والنفسية لطفلها ، وقدراته وملكاته (المرجع السابق) .

لكن هذا لا يمنع من وجود موقف آخر مضاد ، كذلك الذى نجده عند " إنجى أفلاطون " – وكانت من المثقفات المعروفة باتجاهها اليسارى – التى هاجمت تدريس الفنون والمواد النسوية فى مدارس البنات ، حيث رأت أنها وسيلة لتقييد المرأة ، وحصر دورها فى منزل الزوجية " هذه المناهج وضعت مسبقا لتتوافق مع رغبات الرجل ، ولكى تجبر المرأة على استمرار ممارسة الدور الذى رسمه لها منذ آلاف السنين " (المرجع السابق ، ص ١٧٢) .

وعرف التعليم المصرى كلية خاصة للبنات ، كانت فى الأصل لمجرد تخريج معلمات ، ثم تحولت كى تكون صورة مصغرة من " جامعة " تضم تخصصات مما يماثل كليات العلوم ، وأخرى مما يماثل كليات الآداب ، وثالثة مما يماثل الأقسام التربوية فى كليات التربية .

ومع ذلك فإن تسمية الكلية بكلية البنات لم يعن أن تكون مقرراتها مما يخص البنات والمرأة ، وإنما أن من يلتحقن بها هن الطالبات على مستوى الدرجة الجامعية الأولى ، أما الدراسات العليا فهو مفتوحة لكلا الجنسين ، والكثرة الغالبة من أعضاء هيئة التدريس هن من النساء .

بل إن الكلية كانت تضم قسما خاصا بالدراسات النسائية كان يسمى (الاقتصاد المنزلى) تحول ليكون قسما لدراسات الطفولة ، وصحيح أن هذا مما يتصل بالمرأة اتصالا وثيقا ، لكن لا أحد يجادل فى أنه يعنى – أو المفروض أن يعنى – الذكور كذلك .

وإن نظرة على المقررات الدراسية ببعض الأقسام الأدبية تكشف لنا مدى القصور فى هذه المقررات سواء من حيث عددها أو طبيعة الموضوعات التى تدرس ، فقد اتضح أنه ليس هناك من بين الأقسام الأدبية من يهتم بقضايا المرأة سوى قسم الاجتماع بشعبه الثلاث ، وفيه تدرس مقررات موزعة على السنوات الأربع من السنة الأولى حتى الليسانس ، وهى سوسيولوجيا المرأة ، المرأة والسياسات السكانية ، تاريخ الحركة النسائية المصرية . هذا علاوة على مادة المرأة والإعلام التى تدرس بشعبة الإعلام . أما على مستوى الدراسات العليا فلا توجد مقررات خاصة بقضايا المرأة على الرغم من أن معظم أطروحات الماجستير والدكتوراه تدور حول المرأة بشكل أو بآخر (عبد الباسط عبد المعطى ، واعتماد علام ، ص ٤٥١) .

ومما يتصل بشأن تربية المرأة النظر بعين الاعتبار إلى عدد من الأمثال الشعبية المصرية المتعلقة بالمرأة ، حيث أن مثل هذه الأمثال تشكل إلى حد بعيد ما يمكن وصفه ب " المعايير " أو " القيم " ، يهتدى بها كثيرون فى حياتهم الاجتماعية وخاصة بين الملايين من بسطاء الناس ، وربما يكون لهذه الأمثال قوة تفوق قوة الكتب المدرسية لتلاميذ المدارس (سلوى محمد فرج ، ص ٥٤) .

ويمكن تقسيم الأمثال المتعلقة بالمرأة إلى أربع مجموعات ، حسب الغرض الإيديولوجى ، فإذا أخذنا مثلا مثل (الرجالة غابت والستات سابت) ، نجده يعتمد على عدد من الأفكار المسبقة من ضمنها أن الرجل هو المسيطر على المرأة ، التى يمكن أن تصبح عرضة للانحلال ، كما يتضح من كلمة " سابت " ذات الإيحاء السلبى ، من دون الرجل ، كما أن المستنتج من هذا النص هو أن المرأة لابد ولأن تبقى تحت سيطرة الرجل .

أما المجموعات الأربع فهى :

١- قوة وهيمنة الرجل أو الزوج ٠

٢- اعتمادية المرأة وضعفها ٠

٣- إلقاء مسئوليات بعينها على المرأة ، مع التسليم بعدم قدرتها على تحمل المسئولية ٠

٤- الحكم على المرأة من حيث المظهر ٠

والفكرة الأساسية الكامنة وراء هذه المجموعة ، أن الزوج أو الرجل يملك سلطة الطلاق والتوجيه ، والاستنتاج أن للرجل حق عقاب المرأة :

- اللى يقول لمراته يا عورة تلعب بها الناس الكورة ٠
- أخذتنى لحم ورمتنى عضم ٠
- حماتى مناقرة قال طلق بنتها ٠
- لو لسان المرة جهر اقطعه ٠
- الرجالة غابت والستات سابت ٠

والفكرة الأساسية فى المجموعة الثانية هى أهمية الزواج للأنثى ، والاستنتاج أن المرأة ضعيفة ولا تستطيع الاستقلال تماما عن الرجل :

- من كتر خطابها بارت مسى عليها الليل واحتارت ٠
- مرة من غير راجل زى الطربوش من غير زر ٠
- ضل راجل ولا ضل حيطة ٠

وتفترض المجموعة الثالثة أن المنزل مسئولية المرأة ، وهكذا نستنتج ميل المرأة للاستهتار واللهو والتبذير :

- فاتت عجينها فى الماجور (الوعاء) وراحت تضرب على الطنبور (آلة موسيقى) ٠
- فاتت ابنها يعيط وراحت تسكت ابن الجيران ٠
- المرة المفرطة عليها قطة مسلطة ٠

أما المجموعة الرابعة فتركز أساسا على مظهر المرأة ، وتفترض هذه الأمثال أن الرجال يحبون الشقراوات ، والاستنتاج هنا أن جمال المرأة هو طريقها إلى الزواج (المرجع السابق ، ص ٥٥) :

- ياريتنى بيضة وليه ضب والله البياض عند الرجال يتحب ٠
- خد الجميل واقعد قباله وإن جعت شاهد جماله ٠
- يا وحشة كونى نغشة ٠

تدافع دولى فى الاتجاه المعاكس :

وإذا كنا فى الدراسة الحالية نسعى إلى استعادة الاهتمام بتخصيص المرأة بثقافة تربوية ومعرفية ، لدوافع ومبررات أشرنا إلى بعضها وسوف نتناولها بشئ من التفصيل فى جزء تال ، فإن السنوات الأخيرة عرفت توجها معاكسا ، لا على المستوى المحلى والإقليمى فحسب ، ولكن على المستوى الدولى كذلك ، أو قل بصراحة أنه بدأ على المستوى الأخير ، ثم كان لابد أن يجر معه المستويين الأول والثانى ، المحلى والإقليمى ٠

أما هذا الاتجاه المعاكس فهو يتصل بالإلحاح على ضرورة التساوى شبه المطلق بين المرأة والرجل ، مع عدم الأخذ بعين الاعتبار أن ما أحاط بالمرأة من ظروف قهر وتخلف عبر قرون ماضية كان كثير منه يقع على الرجل أيضا ، وأن التساوى المطلق ، كما سبق أن قدمنا فى الدراسة الحالية ، لا يعنى فى كل الأحوال تحقيق العدل ، بل لربما انطوى على ظلم لكلا الطرفين : الرجل والمرأة ٠

ويرى البعض أن الحركة النسوية المعاصرة التى بدأت فى الستينيات ما هى إلا امتداد للحركة النسوية فى القرن التاسع عشر ، ويستند هؤلاء فى دعواهم إلى أن الفكرة الجوهرية لكلتا الحركتين والتى انعكست بوضوح على الفكر النسوى هى مساواة المرأة بالرجل ٠ وحقيقة الأمر أن هناك

اختلافات جوهرية بين الحركتين ، وبين الأسس التى نهضت عليها المطالبة بالمساواة فى كل منهما ، ففى حين يرى أغلب أصحاب الاتجاه النسوى من الأمريكيين خلال القرن التاسع عشر أن الاختلافات الشاسعة بين مكانة الرجل والمرأة ترد فى المحل الأول إلى الاختلافات البيولوجية بينهما ، أى الاختلاف فى " الجنس " ، وهى اختلافات تتفاوت فى درجات العمق والسطحية – وفقا لسلوك ومنظور كل منهما – وتعبر عن نفسها فى اختلاف توزيع الأدوار وتقسيم العمل بين الرجل والمرأة ، حيث تختزل أدوار ووظائف المرأة الأساسية وتحصرها فى العمل المنزلى ورعاية الأطفال ، ومن ثم تصبح تلك الاختلافات هى المسئول الأول عن تلك المعاملة غير العادلة التى تتلقاها الكثرة الغالبة من النساء فى المجتمع (المرأة وقضايا المجتمع ، ص ٣٥) .

بيد أن دعاة تحرير المرأة يحاولون محو هذه الاختلافات والقضاء عليها قضاء مبرما ، على نحو ما تطلب الاتجاهات النسوية الراديكالية اليوم ، حيث يبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون تحولها إلى ظلم وتفاوت اجتماعى وإنسانى يؤدى إلى توسيع الهوة بين الذكور والإناث ، وفى المقابل يتجاوز أصحاب الاتجاه النسوى تلك الاختلافات البيولوجية حيث يرجعون جزءا كبيرا من الفوارق الملحوظة بين مكانة الرجل والمرأة إلى عملية التنشئة الاجتماعية ، فالخصائص البيولوجية من وجهة نظرهم تلعب دورا محدودا فى هذا الشأن . وهكذا فإن مناقشتهم لقضية المساواة تستند إلى اعتقاد بأن الاختلافات البيولوجية ينشأ عنها الاختلاف فى الجنس (Sex) ، بينما الثقافة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية هى التى تخلق الاختلاف فى النوع (Gender) ، ومن ثم فهى التى تضع النساء فى وضع اللامساواة ، من خلال الأدوار التى ترسمها لهن باعتبارهن أمهات

وزوجات فقط ، بينما تمنعهن من ممارسة الأوار والوظائف التى يضطلع بها الرجال (المرجع السابق ، ص ٣٦) .

ولابد أن نعترف بأن ما شهدته الكثرة الغالبة من دول العالم فى العقود الأخيرة من تحول ضخم نحو " الخصخصة " ، وانفتاح الأسواق العالمية أمام بعضها ، ورفع رايات العولمة التى كان من شأنها الاندفاع نحو تغليب نموذج ثقافى بعينه هو النموذج الأمريكى على مختلف الثقافات والمجتمعات ، كان له أثره فى اندفاع ممائل على الصعيد الاجتماعى والثقافى فى عقد سلسلة من المؤتمرات الدولية التى خصت المرأة بالنصيب الأكبر من الاهتمام (أحمد الرشيدى ، ص ٤٣) .

وقد أكدت تحليلات نقدية ما أتاحته العولمة من فرص ، يعانى خللا فى توزيعه على الصعيد العالمى ، وهو ما ترتب عليه مجموعة من الظواهر والنتائج التى كان نصيب مجتمعات الجنوب من مغارمها كبيرا . لقد رصد باحثون ومحللون من اتجاهات إيديولوجية وفكرية متباينة تأثيرات العولمة على مجتمعات الجنوب التى لم تسر فى خطوات وعمليات تطورها الاجتماعى الاقتصادى فى ضوء قواها الداخلية وظروفها الموضوعية ، حيث تأثرت تاريخيا بعوامل خارجية منذ الاستعمار التقليدى وحتى عصر العولمة ، ولهذا كانت المصاحبات السلبية للعولمة عندها أكثر تجسدا وجلاء (عبد الباسط عبد المعطى واعتماد علام ، ص ٢١) .

فمن متابعة للمؤشرات الرئيسية التى حملتها تقارير التنمية البشرية الدولية التى يصدرها البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة ، برزت تناقضات صارخة كان من أبرزها :

- أنه مع نهاية التسعينيات أضحت الدول الغنية التى تمثل حوالى ١٤% من سكان العالم أكثر استحواذا على ثلاثة أرباع الناتج الإجمالى العالمى . وإذا كانت العولمة قد عضدت من أهمية التجارة العالمية ،

فقد زادت تلك التجارة من الفجوة بين المجتمعات الغنية والفقيرة ماديا ، فكل دولار إضافى تصنعه التجارة العالمية يذهب ثلاثة أرباعه إلى الدول الغنية .

- يعانى أكثر من مائة بلد فى الجنوب خلال العقدين الأخيرين من انخفاض معدلات النمو وانخفاض مستويات معيشة سكانها أكثر مما عانته البلدان الصناعية خلال الأزمة الاقتصادية فى الثلاثينيات من القرن العشرين .
- ارتفع عدد الأفراد الذين يقل دخلهم عن دولار واحد خلال عقد التسعينيات ليصل هذا العدد إلى بليون فرد .
- يعانى أكثر من ٨٠٠ مليون إنسان من الجوع وحوالى ٥٠٠ مليون من سوء التغذية ، ويحدث سنويا قرابة ١٧ مليون وفاة نتيجة أمراض يمكن الشفاء منها .
- وصل معدل وفيات الأمهات أثناء الولادة فى بعض بلدان الجنوب إلى ٣٨٤ حالة وفاة لكل مائة ألف ولادة حية ، وهو معدل يصل إلى اثنى عشر ضعفا لما هو عليه فى بلدان منظمة التعاون والتنمية O.E.C.D (المرجع السابق ، الصفحة نفسها) .

وكان للأزمات الاقتصادية والسياسية التى سببتها النزاعات المسلحة والفصل العنصرى آثارها على الفئات والشريحة المستضعفة فى المجتمع وفى مقدمتها المرأة ، وكان من جراء ذلك عقد مؤتمرات مثل (الأمم المتحدة : ١٩٨٥) :

- مؤتمر مكسيكو سيتى سنة ١٩٧٥ .
- المؤتمر العالمى لعقد الأمم المتحدة للمرأة : المساواة والسلم والتنمية ، كوبنهاجن ، يوليو ١٩٨٠ .
- مؤتمر نيروبى ، ١٩٨٥

- مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة ، ١٩٩٤
- مؤتمر بكين الذى عقد فى الصين ، عام ١٩٩٥
- مؤتمر القمة العالمى للتنمية الاجتماعيـــة ، مـــارس ، كوبنهـــاجن ، ١٩٩٥

وسرت العدوى إلى الدول العربية ، فإذا بمؤتمرات قمة عربية للمرأة تقودها زوجات الملوك والرؤساء العرب :

- القمة العربية الأولى للمرأة عام ٢٠٠٠
- القمة العربية الاستثنائية ، ٢٠٠١
- القمة العربية الثالثة للمرأة ، ٢٠٠٢

وقدمت جامعة الدول العربية خطة وتقريرا :

- خطة العمل العربية للنهوض بالمرأة حتى عام ٢٠٠٥ ، القاهرة .
- التقرير العربى الموحد لأوضاع المرأة العربية مـــن عـــام ١٩٩٤ – ٢٠٠٠ ، القاهرة .

ودعم من هذا وذاك أن نقل التكنولوجيا غير الملائمة قـــد أدى إلـــى زيادة ظروف عمالة وصحة المرأة سوءا ، إذ حدث نزوح للأيدى العاملة ، وصاحب هذا النقل نماذج استهلاكية أجنبية ، وفى صناعات كبيرة معينة ، بعضها تديره شركات عابرة للقارات ، وظهرت ممارسات عمالية تمييزية جديدة فى المناطق الريفية والحضرية على حد سواء ، حيث أن الزيـــادات التى حدثت فى توظيف النساء فى المناطق الحضرية ترجع إلـــى زيـــادة استغلال العمالة الرخيصة شبه الماهرة التى تمثلها النساء غير المتزوجات خاصة .

وكانت القوة المتنامية لقطاع المنظمات غير الحكوميـــة ، ولا ســـيما منظمات المرأة والجماعات المنادية بالمساواة بين الجنسين واحدة من القوى الدافعة للتغيير ، حيث لعبت دورا كبيرا فى مجال الدعوة لتنفيذ التشريعات

أو إنشاء الآليات التى تكفل تقدم المرأة وفقا للمفاهيم التى روجتها المؤتمرات والمنظمات الدولية .

ويضاف إلى ذلك أن الدول العربية أصبحت فى موضع الدفاع عن احترامها لثقافة الحوار ، والمفاهيم الإنسانية المشتركة فى وجه ما سمى بصدام الحضارات ، الأمر الذى حتم عليها بذل الجهود فى إعطاء قضية التحولات الديموقراطية والاهتمام بحق الإنسان الكثير من الاهتمام الرسمى عبر انتهاج استراتيجيات وطنية (وقومية على مستوى جامعة الدول العربية) للنهوض بالمرأة وتمكينها سياسيا ، حرصت تقاريرها على إبراز التطورات التشريعية والإجرائية التى بذلتها ما بين ١٩٩٥ وعام ٢٠٠٠ ، والسماح بشكل عام بإقامة العديد من المراكز الحقوقية ، والمنظمات المدنية ، بما فيها دول الخليج العربى التى بدأت تعيد النظر فى موقفها من الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية للإنسان .

ورغم ارتفاع مستويات التعليم خلال العقدين الماضيين فى الكثير من الدول فى العالم ، وتضييق الفجوة فى التحصيل بين الذكور والإناث إلا أن هناك ما يقرب من ٣٠١ مليون طفل معظمهم من الإناث ، ٩٠ مليون محرومات من فرص الحصول على التعليم الابتدائى ، وما زال العجز المتبع فى التعليم الأساسى ومحو أمية الكبار ، ولا سيما تعليم البنات والنساء ، يشكل فى الكثير من البلدان عقبات أمام التقدم ، بالرغم من التطورات التى شهدها العالم منذ أوائل التسعينيات والمتمثلة بالتراكم المعرفى الرهيب النتاج (تتجدد المعلومات كل ١٨ شهرا) عن اكتشاف شبكة الاتصالات العنكبوتية الدولية (الإنترنت) التى ربطت العالم كله ، وجعلت منه قرية إلكترونية صغيرة ، (طلعت عبد الحميد ، ص ١٤٤) .

وقد دعم من موقف السائرين على هذا الطريق وجود صور ظلم وتفرقة لا تنكر قام الكثير منها فى التعليم ، وربما ما زال بعضها قائما ،

ففيما يتعلق بالصور والأنماط التى يتم تقديمها لكلا الجنسين فى التعليم ، فهى ، فى الواقع ، صور تكرس أدوار الجنسين المرسومة اجتماعيا ، فالصبيان هم الذين يقرأون الكتب ، أو يجلسون أمام الحاسب الآلى ، أما البنات ، فإما يلعبن بالدمى ، أو يساعدن الأمهات فى الأعمال المنزلية ، أو يقمن بخدمة الإخوة الذكور . وتقدم النساء البالغات بصفتهن أمهات ، أو زوجات ، أو بنات ، أو أخوات ، أى فى الحدود الدنيا التى يرتضيها لهم المجتمع . و" يبث " المنهج رسائل مباشرة وغير مباشرة ، عن أحادية دورها فى الحياة كأم ، وزوجة (٠٠) ويحدد أدوار المرأة فى أدوار منزلية ، وتعمل زوجته داخل المنزل على راحة ورفاهية أفراد الأسرة ، فى روح تضحية سامية ، تتكر لها أى شخصية أو كيان خارج إطار هذه الأسرة (نولة درويش ، ص ١٤) .

وهناك اهتمام بتحليل محتوى عدد من القصص التى تقدم للأطفال لبيان ما تحمله هى الأخرى من صور تمييز بين الإناث والذكور بصورة تظلم الأنثى وتنحاز للذكر ، فقد أوضحت دراسة أشارت إليها (نادية الخولى ، ص ٢٥) أن مجموعة كبيرة من القصص تتناول موضوع سلبية النساء والفتيات الصغيرات ودورهن كمتفرجات على الحياة ، بينما توضح قدرة الرجال على الإبداع والمشاركة الإيجابية فى بناء المجتمع ، وقد استخدم الرمز كوسيلة لتوصيل هذا المفهوم ، وعلى سبيل المثال ، لا يمكن إحصاء عدد النساء (والفتيات الصغيرات) ، وهن ينظرن من الشباك (كما هو حالهن فى روايات القرن التاسع عشر) . وكذلك الأميرات فى أرباع القلاع والمراهقات اللاتى ينتظرن حبيبهن والفتيات الهوائيات والأمهات الحالمات ، جميعهن يتأملن الحياة ، ولكنهن لا يشاركن فيها . أما الشباك ، فهو يحافظ عليهن ويحميهن ، فمن خلاله ترى النساء ما يحدث فى الخارج دون أن يتركن المساحة المخصصة لهن داخل المنزل ،

فعلى سبيل المثال ، تكررت هذه الصورة لسلبية الفتاة ، وعدم مشاركتها فى أى عمل إيجابى فى عدد وفير من القصص ، مثل (صمت الأميرة – محمد أحمد برانق – و (الأميرة المسحورة) فى سلسلة بستان الطفل ، و (عروس البحيرة) لعبد الحميد طلبة ، و (البطل والساحرة) ، و (الأمير والفتاة) ليعقوب الشاروني ، ففى هذه القصص قدمت الفتاة كرمز للجمال والرقة والاستسلام التام لرغبة بطل القصة الذى يقوم بإنقاذ هذه الفتاة الضعيفة والمغلوبة على أمرها .

لكن هذا الغلو وذاك التطرف الذى غلب على كثير من مقررات المؤتمرات الدولية الخاصة بالمرأة ، وبصفة خاصة ذلك الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤ ، استفز كثيرا من المفكرين والمهتمين بالمنظور الإسلامى للمرأة ، فقد رأى هؤلاء أن الاختلاف بين الذكر والأنثى هو من صنع الله تعالى ، وأنه واقع جاءت به سنن المولى عز وجل ، وعبر القرآن عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى :

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) سورة آل عمران : ٣٦

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)) سورة الحجرات .

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥)) سورة النجم .

(فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩)) سورة القيامة .

(وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣)) الليل .

والإسلام يرفض هذا التماثل الذى يلحون عليه ، بل يرى أنه من الظلم القول بأن الجنسين متماثلان ، فالواقع يرفض ذلك ، إذ أين التماثل إذا كانت المرأة تحمل والرجل لا يحمل ، وترضع بينما لا يستطيع الرجل ذلك ، والله قد اختص المرأة بموهبة تربية الجيل الجديد (محمد سليم العوا) .

كما أن ما يعزز هذا الإنكار للتماثل يعنى إنكار وإلغاء أحكام شرعية إسلامية ثابتة بالكتاب والسنة ، كقوامة الرجل على المرأة :

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) سورة النساء : ٣٤ ،

والشهادة : (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) سورة البقرة :٢٨٢

وكان من الضرورى أن تهب معارضة ضد ما نادى به مؤتمر القاهرة من حق الفرد تغيير هويته النوعية (أن تصبح الأنثى ذكرا أو أن يصبح الذكر أنثى) ، إلا إذا كانت هناك دواع فسيولوجية يحكم بها الأطباء المتخصصون ، وما يترتب على ذلك من أدوار اجتماعية ، والتنديد بمطالبة المؤتمرات برفع المسئولية الجنسية عن الشواذ واستنكار اعتراف المؤتمرات بحقوق الشواذ فى زواج المثلين ، وتكوين أسر غير نمطية ، والنظر إليهم وكأنهم ضحايا المجتمع نتيجة ما زعموه من هيمنة ذكورية على جسد المرأة.

إن الإسلام يرفض المجتمع وحيد الجنس ، الذى يقوم على التماثل التام ، بل إن القرآن يصف الزوجين بأنهم لباس لبعضهم البعض :

(هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) سورة البقرة : ١٨٧ ،

كما يجب أن تسود بينهم مشاعر المودة والرحمة والدفء :

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)) سورة الروم . (الحسينى سليمان جاد ، ص ١٤٦) .

ونبه فهمى هويدى على إهمال المؤتمرات عمدا لكثير من القضايا المهمة التى كان يجب أن تتناولها مثل قضية الطفولة ، وحقوق الطفل تجاه

الأم والعكس ، كما تجاهلت الأم حتى إنها دعت إلى تهيئة المرأة لكل الوظائف والمهن باستثناء وظيفة ربة الأسرة ، والعقل المدبر للبيت ، وكل ذلك مجال على درجة عالية من الأهمية ، ولم يكن ذلك التجاهل مصادفة بطبيعة الحال لأن الوثيقة انطلقت من حقيقة أن المرأة كائن منفصل عن المجتمع ، وأنها مخلوق يستمد مشروعيته ودوره من العمل المأجور خارج المنزل حتى صار البيت فى حقيقة الأمر " نُزُل أو فندق " وليس سكنا للأسرة وحاضنا لخلية فى المجتمع الكبير .

بل إننا لنجد دراسات لباحثات وقفن بعلمية متعمقة أمام مجموعة من التعميمات المتطرفة التى حرصت على تصوير حال المرأة فى العالم الإسلامى بشكل " ظلامى " مؤسف ، فهذه د. أميرة سنبل ، تصحح الصورة التى رسمتها لنا الاستشراقية التقليدية عن عزل النساء وتخلفهن فى العصور العثمانية ، حيث أثبتت الأبحاث عن إرشفيات ووثائق المحاكم والأوقاف أن المجتمع المصرى ، مثلا ، كان مجتمعا حيويا نشطا ومدنيا بمعنى ظهور تحالفات معينة بين فصائل المجتمع المختلفة ، وكذلك عمليات تطور وتفاعل سياسى واقتصادى واجتماعى بناء على عوامل الاستمرارية و " الجدلية " التاريخية ، التى تجرى فى كل المجتمعات البشرية على السواء ، ولم يكن كما تعودنا قراءته بالمنظار الاستشراقى العنصرى مجتمعا تقليديا ، وبالتبعية ، مجتمعا متأخرا ومتحجرا بلا تطور (أميمة أبو بكر ، ص ٣٩) .

وفيما يخص حياة النساء بالذات فى هذه المجتمعات قبل الحديثة ، فعلى الرغم من أنه من الطبيعى ، مثلها مثل غيرها فى هذه الفترة الزمنية ، أن تكون مجتمعات أبوية فى الأساس ، نرى أن بعض المطلقات والأرامل كان بوسعهن العيش وإدارة منازلهن بمفردهن ، وترصد هذه الدراسات تواجد وظهور النساء بالمحاكم يوميا وبصفة روتينية ، يطلبن

تعويضات أو يسجلن عقودا أو يفسخنها أو يرفعن قضايا طلاق أو نفقة أو خلع أو حضانة أو وصاية ٠٠٠إلخ ، وكذلك انتشارهن بأسواق التجارة والشوارع والأوقاف ، ونقرأ عن حالات كثيرة من الدعاوى التى رفعتها بعض النساء ، تشير إلى تفضيلهن الطلاق على أن تتحملن تعنت الزوج وتشدده فى منعهن من الخروج إلى هذه المجالات ٠

وعملت النساء فى عهد الدولة العثمانية فى صناعات الغزل والنسيج والصناعات اليدوية وصناعة السجاد والملابس – خاصة فى ورش المنازل الصغيرة ، وارتدن الأسواق لبيع البضائع ، بل كان بعضهن يملكن دكاكين وأملاك وعقارات وأراض يتصرفن فيها ، وكن ناظرات للأوقاف ٠ وكانت المرأة تذهب إلى المحاكم بنفسها لمباشرة إجراءات التقاضى والشهادة والتسجيل ، فقد كان استخدام المحاكم متاحا وميسرا للنساء والبت فى القضايا الخاصة بهن سريعا وغير معقد ، وتظهر أنواع القضايا عدم تردد النساء فى المطالبة العلنية بحقوقهن ، سواء فى المهور المتأخرة أو النفقة أو المؤخر أو طلب الخلع أو الطلاق أو الحضانة أو إملاء شروط العقد الخاص بالزواج وتسجيلها لضمان الحقوق ٠٠٠وهكذا (المرجع السابق ، ص ٤٢) ٠

نسق معرفى خاص بالمرأة

واتساقا مع ما سبق أن أشرنا إليه من الجزء الأول من هذه الدراسة ، فإننا نسعى فى الجزء الحالى إلى الإشارة إلى عدد من القضايا التى نرى ضرورة أن تعلمها المرأة من خلال نسق معرفى متميز خاص بها يمكن تدريسه فى إحدى مراحل التعليم ، والذى يمكن أن يقتصر على سنة دراسية بعينها أو أكثر ، وإن كان من المفضل أن يكون لسنة دراسية واحدة

، وفى مرحلة التعليم الثانوى ، على سبيل التجريب ، فإذا ما نجحت الفكرة يمكن مدها إلى سنوات أخرى ٠

ونؤكد أيضا على أن ما نعرضه هنا يحتاج إلى " تلاقح فكرى " عبر مشاركة أكثر من واحد ، وخاصة عبر مشاركة نسائية ، حيث أن أمرا مثل هذا من العسير أن نزعم لجهدنا الفردى قدرة على القول الفصل فيه ٠

وجه الحاجة إلى " تعليم نسوى " :

ومن المثير للانتباه حقا ، أن هناك من الغربيين من التفت إلى القضية نفسها منذ وقت مبكر ، ويتبين لنا هذا مما عرضته الدكتورة سامية الساعاتى (ص ١٣٥) مما ورد فى كتاب بعنوان : The Sociology of House Work (سوسيولوجيا العمل المنزلى) لمؤلفته (مارتن ربورتسون) Martin Robertson والصادر عام ١٩٧٤ ، وكان من الموضوعات التى تضمنها الكتاب : نظرة النساء للعمل المنزلى ، ونظرتهن إلى أنفسهن كربات بيوت ، ومشاعرهن المختلفة نحو العمل المنزلى ، واتجاهاتهن نحو الأعمال المنزلية المختلفة من طهى وتنظيف ٠٠إلخ ، ومدة العمل المنزلى الذى تقوم به المرأة محسوبا بالأسبوع ، ومدى أهمية المعايير والروتين كطريقة للتأكد من أن العمل المنزلى يتم على وجه أكمل ، وكأسلوب على مكافأة الذات ٠

وقد ظهر من خلال فحص أربعين استبار طبقته الباحثة على ربات بيوت إنجليزيات حضريات أن هناك مفهوما واضحا للعمل المنزلى كعمل قد بدأ يبزغ ، فالنساء فى عينة البحث يخبرن العمل المنزلى ، ويعرفنه على أنه عمل مماثل لذلك الذى يتطلبه أى موقف عمل ، وقد ارتبطت ملاحظات هؤلاء النساء ارتباطا وثيقا بنتائج علم اجتماع العمل ، فقد كان لمظاهر العمل المنزلى التى أطلق عليها أنها مشبعة أو غير مشبعة نظائر

فى عالم المصنع ، والمكتب • ويتأكد هذا التطابق بوجود ميل لدى النساء لمقارنة انعكاساتهن نحو العمل المنزلى بخبرتهن فى العمل خارج منازلهن (المرجع السابق ، ص ١٣٩) •

وقد كانت هناك أسئلة تكشف عن إيجابيات العمل المننزلى وحسناته كما يفصح عن سلبياته ومساوئه • وقد تبلورت إيجابيات العمل ، كما عبرت عنها الزوجات فى مظاهر كثيرة أهمها الاستقلال والذاتية ، ووجود الأطفال ، وتوفير ظروف العمل الحر ، وعدم الاضطرار للخروج من المنزل ، ووجود الزوج ، وتوفير الحياة العائلية • وقد قصدت عينة الزوجات بالذاتية والاستقلال ، التحرر من الرقابة والقدرة على تحديد إيقاع العمل المنزلى وسرعته •

أما سلبيات العمل المنزلى ، فالحق أنها قد تركزت فى العمل نفسه ، من حيث ما يتضمنه ويتبعه من الرتابة ، والتكرار ، والسأم ، والمسئولية المنزلية المستمرة ، والعزلة والوحدة ، وضرورة الانتهاء من العمل المنزلى والتقيد الشديد بالمنزل •

وقد اقتفت باحثة مصرية (د• سامية الخشاب) أثر الباحثة الإنجليزية فأجرت دراسة على ثلاثمائة امرأة فى محافظة الجيزة ، من مستويات مختلفة لتكشف عن اتجاهاتهن نحو العمل المنزلى ، حيث تبين لها (ص ١٢٧) أنهن لديهن اتجاها إيجابيا بصفة عامة نحو العمل المنزلى ، والمرأة تقبل على هذا العمل من منطلق أنه عمل مقدس وواجب حتمى يجب أن تقوم به المرأة ، وقد تأكد لها هذا الاتجاه الإيجابى فى مواقف عدة :

١- أجابت أكثر من ٨٩ % من أفراد العينة بأنهن يحرصن على تعليم بناتهن الأعمال المنزلية •

٢- احترام المرأة التى تتقن الأعمال المنزلية ، فقد بلغت نسبة اللاتى يحترمن ويكبرن المرأة التى تتقن الأعمال المنزلية ٩٨ % من أفراد العينة .

٣- الاتجاه الإيجابى نحو كلمة " ست البيت " ، حيث كانت نسبة اللاتى لديهن اتجاها إيجابيا نحو هذه الكلمة ٧٨ % من أفراد العينة .

وفى تصورنا أن مثل هذه الدراسة لو أعيدت فى أيامنا الحالية لربما حصلت على نتائج أقل من هذا ، فالإلحاح المستمر عبر كافة أجهزة الثقافة والإعلام والتعليم على النظر بغير عين التقدير للعمل المنزلى ، والإلحاح المستمر على الخروج للعمل ، لابد أن يكون له أثره فى تشكيل وعى المرأة المعاصرة .

الأسس الفكرية :

فإذا كنا نقدم تصورا مقترحا لنسق معرفى يتصل بتعليم المرأة ما تختص به بحكم طبيعتها ووظائفها وأدوارها ، فإن هذا التصور بدوره يقوم على عدد من الأسس التى تشكل " ظهيرا إيديولوجيا " ، نصرح بأنه مستمد من العقيدة الإسلامية بالدرجة الأولى .

ولربما يكون التعبير " بالأسس الفكرية " عاما إلى حد ما وهو الأمر الذى وعينا به ، ذلك أن ما سوف نسوقه من أسس يقوم عليها التصور المقترح ، هى مزيج من أسس مستمدة من كل من الدين ، ومن الفلسفة ، ومن الثقافة ، ومن المجتمع . ولأنها لا تدخل فى تفاصيل هذه المجالات وتقتصر على مجموعة الأفكار الممتدة عبرها ، اخترنا هذا التعبير .

أما هذه الأسس ، فهى مستمدة من عمل علمى وفكرى كبير شارك فيه عدد من أساتذة التربية الإسلامية والفكر الإسلامى ، والعلوم الشرعية بعنوان (ميثاق الإسلام فى الأسرة) ، وتتضمن الأسس ما يلى :

١- تأهيل الإنسان لحمل الرسالة (ص ٩٨) : فتحقيقا لرسالة الإنسان فى الأرض ، وهبه الله من القدرات العقلية والنفسية والجسدية ما يجعله أهلا لتحقيق هذه الرسالة ، وأرسل إليه الرسل لهدايته إلى أقوم سبل الرشد والفلاح فى الدنيا والآخرة ، ويؤكد هذا قول المولى عز وجل فى كتابه الكريم : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)) سورة النحل : ٧٨ ، كما وهبه الله تعالى القدرة النفسية والجسدية فقال جل شأنه (ال اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)) سورة غافر .

٢- التساوى فى أصل الخلق وتنوع الخصائص (ص ١٠٠) : فقد خلق الله البشر جميعا متساوين فى أصل الخلق من نفس واحدة ، ويتساوون تبعا لذلك فى الخصائص العامة ، ومع ذلك اقتضت حكمة الله أن يتفاوتوا فى بعض الخصائص كالقوة والضعف ، وفى الملكات والقدرات النفسية والعقلية والجسمية ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) سورة النساء : ١ ٠ وهذا التنوع البشرى فى بعض الخصائص هو قوام الحياة بالتعارف والتعاون والتكامل بين الأفراد والمجتمعات ، وليس مدعاة والتباغض ، كما أشرنا من قبل إلى الآيةى ١٣ من سورة الحجرات ، حيث حددت الهدف ألا وهو " التعارفوا " ، وقال (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)) سورة الأنفال .

٣- تكامل الزوجين : الذكر والأنثى (ص ١٠١) : فمع وحدة الإنسان فى أصل الخلق من نفس واحدة ، فقد خلق الله منها بقدرته زوجين

ذكرا وأنثى ، يقول تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) سورة فاطر :١١، ولا تستمر الحياة وتعمر الأرض ويتكاثر النوع إلا بتلاقيهما وتعاونهما وتكاملهما ، وتلك سنة الله فى جميع الكائنات الدنيوية ، ومن الرابطة بين الرجل والمرأة تتكون الأسرة ، وهى النواة الأولى للمجتمع الإنسانى ، يقول تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)) سورة النحل .

٤- وحدة خطاب التكليف والمساواة فى الحقوق والواجبات (ص ١٠٣) : فالمساواة بين الرجل والمرأة فى فطرة الخلق الطبيعية تقتضى أمرين : أولهما : المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة فى الأغلب الأعم من شئون الحياة واعتبار كل منهما مكملا للآخر ومتمما لرسالته وشريكا له فى الحياة الزوجية والاجتماعية عدا بعض الخصوصيات المميزة لكل منهما فى تكوينه البدنى والنفسى فيختص كل منهما بما تميز فيه ، يقول تعالى (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)) سورة النساء ، وقال : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا (١٨٩)) سورة الأعراف . والثانى : اتساقا مع هذا الأصل ، جاء الخطاب الشرعى موحدا يتناول كلا من الرجل والمرأة فى سائر الأمور التى يتساويان فيها كالتكليف بالأوامر والنواهى ، وفى الحلال والحرام ، والثواب والعقاب ، وفى الحقوق والواجبات الإنسانية العامة ، وفى الكرامة البشرية ، كما جاء هذا الخطاب خاصا بكل منهما فى الأمور الخاصة به ، وتروى

السيدة عائشة رضى الله عنها فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " النساء شقائق الرجال " (حديث حسن رواه أحمد وأبو داود والترمذى والدارمى والدارقطنى) ٠

٥- تنوع التخصصات (ص ١٠٦) ، فتمايز كل من الرجل والمرأة بخصائص وملكات وقدرات بدنية ونفسية معينة لا تجعل أحدهما أعلى شأنا من الآخر ، ولكنه منوط بصلاحيته لأداء وظائف حياتية معينة لا يستطيع الآخر القيام بها ، وهى سنة البشر كافة حتى بين الرجال وبعضهم والنساء وبعضهن ٠ فالمرأة بعاطفتها ورقتها وأنوثتها مصدر الاستقرار والسكن النفسى والاجتماعى للرجل والأسرة ، وبفطرتها وصبرها غير المحدود على مشاق الحمل والولادة والأمومة ترعى أطفالها وتعتنى بهم رضاعة وتربية وتقوم على سائر شئونهم ، والرجل بقوته وجلده وكدحه المتواصل منوط به تحصيل الرزق وتلبية احتياجات أسرته والقيام على رعايتها وحمايتها ٠ فإذا كان سبحانه قد قرر مبدأ القوامة فى الآية ٣٤ من سورة النساء ، فقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن التمايز فى الخصائص والأدوار لا يعنى أبدا تمايزا فى الحقوق الإنسانية ، ومن هنا قوله فى خطبة الوداع " أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى) ٠

٦- صلاح المجتمع فى الإقرار بالخصائص الفطرية (ص ١١١) ، فالتنكر للفروق سابق الإشارة إليها غير جائز عقلا وطبعا وشرعا لما فيه من امتهان للفطرة وإنكار لظواهر طبيعية متجسدة واقعا وعملا ومعلومة للكافة بالعلم اليقينى والمعملى ٠ كما لا يجوز شرعا

التوسع فى إعمال هذه الفروق بمدها خارج نطاق الحالات التى تستوجبها لأن كلا الأمرين غالبا ما يؤدى إلى فساد كبير وخلل مجتمعى وقيمى يهدد بتدمير المجتمع ولو طال الأمد .

٧- أهمية الأسرة وضرورة وجود رئيس لها (ص ١٢١) : فالأسرة كمجموع بشرى وليس الأفراد هى اللبنة الأولى والوحدة الاجتماعية الأساسية للمجتمع ، وتتجسد فيها أركان المجتمع ومقوماته البنائية ، ومهما صغر حجمها أو عدد أفرادها فإنهم يرتبطون بعلاقات عاطفية واجتماعية ومالية وتنظمهم حقوق وواجبات ، فلا يستقيم أمرها دون قيادة تدبر شئونها ، وهى إدارة خاضعة للضوابط والأحكام الشرعية فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فالقوامة المنصوص عليها فى الإسلام هى قوامة شورى ورحمة ومودة وليست رياسة قهر وتحكم واستبداد ..إنها إرشاد إلى الطريق السليم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهى تقوم أساسا على التشاور ، فالنص القرآنى يقول عن المسلمين (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) سورة الشورى : ٣٨ ، عام يتخلل مختلف مجالات الحياة .

٨- مسئولية الأمة عن حماية الأسرة ورعايتها (ص ١٣٩) ، حيث تقوم هذه المسئولية على دعامتين : الأولى ، أنها تحقق مقصدا شرعيا لأن الإسلام يقضى بأن الأصل فى الزواج التأبيد ، وفى الأسرة البقاء والدوام ، وإتماما لواجب التشجيع على الزواج الذى لا يستوفى مقاصد الشرعية إلا ببقاء الأسرة بالذود عنها ورعايتها . الثانية ، أن الأمة عندما تحمى الأسرة من عوامل الانهيار والتفسخ إنما تحمى نفسها وقيما الاجتماعية والأخلاقية .

التصور المقترح :

أما التصور المقترح للنسق المعرفى المرغوب فيه ، كى نُعلم المـــرأة من خلاله ما يرفع من كفاءتها فى أداء الأعمال المتصلة ببنـــاء الأســـرة ، فيتناول خمس مجالات أساسية ، راعينا فيها تناول :

١- ما يتصل بالتكوين الذاتى الفطرى للمرأة ٠

٢- ما يتصل بالتكوين الذاتى المكتسب من خلال عمليات تنشئة وتربية ونمو علمى وثقافى

٣- ما يتصل بالعلاقة بالآخر " الذكرى " ٠

٤- ما يتصل بتكوين أسرة ٠٠

٥- ما يتصل بالعلاقة بالمجتمع ٠

وكل مجال ، يتضمن عددا من القضايا والموضوعات الفرعية ٠

مع ضرورة الوعى بأن هذا التقسيم أو التصنيف ، لا ينفـــى التـــداخل والترابط بين كل هذه المجالات ، وما تتضمنه من فروع ٠

ومن المهم أن ننبه إلى أن الموضوعات والقضايا التى سوف نـــشير إليها لم نقصد أبدا " بحثها " وإنما مجرد الإشارة إليها على اعتبار أن تكون موضوعا للبحث والكتابة والتعليم والتعلم ، وإن اضطررنا أحيانا لشئ من التوضيح والشرح ٠

١- التكوين الذاتى الفطرى :

ونقصد به تكوين المرأة كما خلقها الله ، فى حالة الفطرة التى سويت عليها ، وهذا التكوين الفطرى يشكل ما يمكن تسميته بالبنيـــة الشخـــصية للإنسان ، تلك البنية التى تتشكل بناء على أسسها وعناصرها ما تكون عليه المرأة فى سنوات عمرها المختلفة ، فهذا مما لابد أن يكون هو الموضوع

الأول الذى لابد من أن تعلم المرأة كل ما يتصل به ، سواء من ناحية التكوين الجسمى أو التكوين النفسى ٠

صحيح أن هناك فى الدراسات النفسية فرع خاص هو " علم نفس النمو " ، لكنه عادة ما يتناول الجوانب العامة المشتركة بين الذكور والإناث ، وإن كان يشير ، عند تناول فترة المراهقة إلى ما تختص به الإناث من تغيرات جسمية ، لكننا نريد دراسة تنصب جميعها على المرأة ، خاصة وأن التمايز الجسمى بين الجنسين يبدأ ظهوره منذ الميلاد ٠ كذلك ، فمن الملاحظ أن علم نفس النمو ، كما يدرس فى جامعاتنا للطلاب لا يكاد يتناول المراحل المتأخرة من العمر ، وهى فترة مهمة للغاية بالنسبة للإناث من خلال ما هو معروف مما يسمى " بسن اليأس " ٠

ويرتبط بالتكوين دراسة الناحية التشريحية السطحية الخاصة بشكل الجسم كما يبدو فى نظر الأطفال ، حيث يحدث كثيرا بحكم ثقافتنا أن يتخذ الأطفال الذكور هذا مظهرا لقوتهم ، بعكس الأنثى التى قد ترى فى هذا المظهر علامة ضعف ٠

كذلك ما يتصل بالتركيب التشريحى الداخلى ، حيث الجهاز التناسلى ، وما يتميز به لدى المرأة من تعقد ودقة تركيب وشمول ، قياسا إلى الجهاز التناسلى لدى الرجل ٠

والمرأة بحكم تركيبها التشريحى هذا وبحكم وظيفة الحمل مركزة أكثر من الرجل حول نفسها ، وحياتها الجنسية مرتبطة بعدد أكبر من الوظائف أهمها وظيفة تكوين الجنين ووظيفة الرضاعة ، وما يترتب على ذلك من بعض الآثار النفسية الهامة ، فقد تتنازعها أحيانا قوتان متضادتان : الاندفاع الجنسى من جهة ، والخوف من الحمل من جهة أخرى ، وقد تتغلب القوة الثانية على الأولى ، وما قد ينتجه هذا من بعض المتاعب النفسية (يوسف مراد ، ص ٥٠) ٠

وهناك ما يتصل بخضوع جسم الأنثى لتغيرات دورية كل شهر هى وظيفة تكوين البويضة • ولا يقتصر أثر تكوين البويضة وما يتبعه من عمليات فسيولوجية على إحداث الشعور بالتعب ، بل هناك آثار أعمق ترجع إلى إفراز الهرمونات الخاصة بالأنثى دون الذكر ، فمثل هذه الأمور لابد من أن تدرسها الفتاة بقدر من التركيز والتفصيل ، خاصة وأن حدوثها للبنت لأول مرة كثيرا ما يصيبها بالخوف والقلق ، خاصة إذا لم تكن لديها فكرة مسبقة عنها •

وتدرس الفتاة فى هذا الموضوع الفروق بين الذكور والإناث بسبب طبيعة الهرمونات التى تفرز فى دم كل منهما ، حيث تبين أن هرمون التستوسترون Testosterone هو الهرمون المسئول عن مظاهر الذكورة ، فى حين أن هرمون الإستروجين Oestrogen هو الهرمون المسئول عن مظاهر الأنوثة • ويصاحب إفراز كل هرمون فى الدم فى كل من الذكور والإناث بعض المظاهر الجنسية الثانوية •

وتدرس الفتيات كيف أنه لا يعرف كائن مطلق الذكورة أو كامل الأنوثة ، إذ أن كل كائن يحوى النوعين من الهرمونات ، وإن كانت نسبة أحدهما إلى الأخرى تختلف ، ويتراوح تدريجيا بين الذكورة المطلقة والأنوثة الكاملة ، وهما نهايتان نظريتان فحسب ، ولذا فإن بعض الرجال أشد ذكورة من غيرهم ، أو أضعفها ، وبعض النساء أكثر أنوثة من غيرهن أو أقلها ، وبينهم تسلسل من الدرجات الوسيطة التى لا نهاية لها ، وهذا هو السبب فى تخنث بعض الرجال وترجل بعض النساء (رشاد عبد العزيز ، ص ١٣) •

ومما يجب تعلمه كذلك ، أن نوع الجنين ، ذكرا كان أو أنثى يتحدد عند تلقيح البويضة بعدد الكروموسومات التى تضمها ، ولا يمكن تغييره بأية طريقة ، ثم ينمو كل من النوعين الذكر أو الأنثى نموا متشابها كل

التشابه ، إلى أن تظهر الخصية فى الجنين الذكر وتبدأ فى صنع التستوسترون ، وعندئذ ، وتحت تأثير هذا الهرمون ، تتحول الأعضاء التناسلية الخارجية إلى شكلها المميز ، كما يظهر المبيض فى الجنين الأنثى ، ويبدأ فى إفراز الإستروجين الذى يصبغ عليها ملامح الأنوثة .

وإذا كانت البنت فى المرحلة السابقة على البلوغ لا تكاد تهتم بجسمها ، ولا تكاد تعنى بهندامها ، نراها فى مرحلة البلوغ تنصرف إلى العناية بجسمها ، وتكرس الكثير من وقتها وجهدها لتجميل نفسها . ونلاحظ أن اهتمام البنت بالمسائل الجنسية قد يفوق اهتمام الفتى ، وربما كان السبب فى ذلك هو أن المجتمع والمربين والوالدين يشعرون الفتاة منذ البداية بأن حياتها وثيقة الصلة بالأسرار الجنسية من حيض وحمل ووضع وأمومة وتنشئة للصغار ..إلخ ، فتبدأ قيود على حركتها ، فى الوقت الذى ترى فيه الفتى لا يتعرض لمثل هذه القيود ، مما يقر فى ذهنها أن حالتها الجنسية يمكن أن تكون مصدر مشكلات وباب يمكن أن يدلف منه شيطان رجيم !!

وإذا كان الشاب قلما يفكر فى وظيفة الأبوة فى فترة المراهقة ، فإن البنت تعرف مقدما أن مصيرها رهن بالزواج والأمومة . وسواء تلقت الفتاة تعليمها الجنسى مبكرا أم متأخرا ، فإنها لابد من أن تدرك يوما أن الطفل لا يظهر فى بطن الأم بطريقة سحرية ، وإنما لابد من أن يتعاون الوالدان على تكوينه .

ومن المهم للغاية أن يتضمن برنامج تعليم المرأة فى هذا المجال ، دراسة لمرحلة " سن اليأس " ، وهنا يتم تعليم الفتاة أن ما يميز هذه المرحلة فسيولوجيا هو انقطاع الحيض ، وتوقف تكوين البويضات ، وضمور الأعضاء التناسلية ، وظهور أعراض الشيخوخة على باقى أجزاء الجسم. وإذا كان البعض قد أطلق على هذه الفترة من حياة المرأة اسم " المرحلة

الحرجة " ، فذلك لأن للتغيرات الهرمونية التى تطرأ على جسم المرأة آثارا سيكلوجية تعبر عن أرجاع الأنثى بـإزاء هـذا الانحـدار الجـسمى ، أو الانحلال العضوى الذى تتعرض له فيما بين سن ٤٥ و ٥٠ عادة .

ومما يجب أن تتضمنه دراسة هذا الموضوع ، بيان أن لسن اليـأس مرحلة تمهيدية (تشبه مرحلة البلوغ بالنسبة لـدور المراهقـة) ، وهـذه المرحلة تتميز بحدوث اضطرابات فى العادة الـشهرية تجـئ مـصحوبة ببعض حالات الأرق والحصر النفسى وسرعة التهيج والهبوط النفـسى . والظاهر أن المرأة فى هذه المرحلة تدرك العمليات البيولوجية الباطنة قبل أن تفطن إلى التغيرات العضوية الخارجية ، وهذه الأمارة الباطنة سرعان ما تقترن بإدراك العلامات الأولى للشيخوخة ، مما قد يترتب عليها اهتمام البعض منهن بشخصها .

٢- تكوين الذات المكتسبة :

وإذا كان الحديث فى البند السابق خاصـا بـذات المـرأة الجـسمية والنفسية ، كما صاغتها فطرة المولى عز وجل ، فإن هذه الذات تمر عقب الولادة بما يصعب حصره من عمليات تنشئة وتربية ، تتكون من خلالهـا شخصية الإنسان ، وبالضرورة شخصية المرأة .

ولما كانت الشخصية متعددة الجوانب ، مختلفة المجالات ، كان مـن الطبيعى أن تتعدد " التربيات " - إذا صح هذا التعبير - أو مجالات التنشئة والتكوين ، مما يوجب أن يتضمن النسق المعرفى المقترح جـزءا خاصـا بكيفية تنمية المرأة لذاتها فى عدد من المجالات . والتنمية هنا يمكـن أن تتم " ذاتيا " بجهد خاص من المرأة نفسها وهو أسلوب وصيغة من الـصيغ التربوية متعارف عليها ألا وهى " التعلم الذاتى " ، وذلـك عـن طريـق

المؤسسات التربوية المسئولة عن التربية والتنشئة ، مثل الأسرة والمدرسة ودور العبادة ، خاصة فى سنوات الطفولة ، وحتى المراهقة المتأخرة .

وربما يحتاج تناول هذه القضية صفحات أوسع ، مما يضطرنا إلى سوق بعض الأمثلة ، قاصدين فيها لا أن تناول " كيفية التربية " فى هذا وذاك ، فليس هذا من مهام الدراسة الحالية ، وإنما هى تقصد أن تكون دليلا ، أو خريطة ، تقترح العناوين ، مقترنة بشئ من الشرح الموجز ، على أساس ، أن التنفيذ لابد أن يسفر عن مثل هذا التفصيل المنشود .

– فهناك على سبيل المثال جانب التنمية العقلية ، والسبل التى ترشد إليها ، خاصة وأن إرثنا الاجتماعى والثقافى يشكك فى هذا الجانب ، وللدكتور يوسف القرضاوى فى مجلديه عن الفتاوى المعاصرة شرح مهم للحديث الشهير عن وصف النساء بأنهن ناقصات عقل ودين ، بما يفيد ارتباط المسألة " بظروف " تختص بها المرأة أحيانا ، وليس انتقاصا من حقها وكرامتها ، وأشار بصفة خاصة إلى الدورة الشهرية وما تؤدى إليه من عدم القيام ببعض الفروض الدينية ، مثل الصلاة والصيام ، مما يعبر عن نقص دينى ، لكنها لا تحاسب عليه . وكذلك أشار إلى غلبة العاطفة فى كثير من الأحيان ، دون أن يعنى هذا أيضا قلة فهم لديها وسوء وعى وإدراك ، مما يؤثر أحيانا على ما قد يصدر عنها من أحكام ومواقف . ومن المعروف أن حياة الإنسان كثيرا ما تكون بأشد الحاجة إلى " بث عاطفى " يرطب الحياة ويخفف من وطأة آلامها ومشاقها .

وعلى أية حال ، فإن توجيه الاهتمام إلى تنمية بعض المهارات العقلية من شأنه أن يزيد من فاعلية التفكير ، وربما نخص هنا بالذات الوعى بما يختص بمنطقة العاطفة ، وما يختص بمنطقة العقل ، بحيث لا يجوز المنطق العاطفى على ما لابد أن يحتكم إلى العقل والمنطق ، وهو الأمر الذى نستشعره جميعا – ذكورا وإناثا – عندما يتصل أمر ما بأولادنا

، وبمصالحنا الأسرية والشخصية ، فكثيرا ما نجنح إلى تحكيم العاطفة ، وننحى المنطق العقلى جانبا ، بل ونسئ استخدامه فى التبرير لما جنحنا إليه وجدانيا ٠

ونشير أيضا إلى تدريب المرأة على مهارات التفكير النقدى ، والحرص على طرح التساؤلات ، بحيث لا يتم التسليم دائما بما يقال ويحدث ، وهذا ما نلمس حرص تقاليدنا الثقافية والاجتماعية السابقة على حرمان الإناث منه ، مع الأسف الشديد ، بل ولومها إذا لم تسلم بما يقال على الفور وأخذت تتساءل عن مدى مصداقيته ، بل ويصل الأمر فى بعض الأحوال إلى النظر إلى الفتاة قليلة السؤال والتعليق والنقد بأن هذا دليل " أدب " و حسن أخلاق !!

– وهناك أيضا التربية لوقت الفراغ ٠ صحيح أن كثيرات يشكين فى السنوات الأخيرة من ضيق الوقت وزحمة فى العمل ، نتيجة ما سوف نشير إليه فيما بعد من تعدد الأدوار التى ألقيت على عاتق المرأة فى العقود الأخيرة ، لكن هذا يشيع غالبا بين من يعملن خارج المنزل ويكن متزوجات ولهن أولاد ، لكن : هناك من لا يعملن ، وهناك من يعملن ولم يتزوجن ، ومن يعملن وتزوجن ولم ينجبن ، وكل فئة من هذه الفئات قد يصل عددها إلى ملايين ، ، ومن ثم نجد أننا أمام قطاعات عريضة ربما تصل إلى ملايين بغير مبالغة يواجهن أوقات فراغ ، غالبا ما يُقضى فى ثرثرة ومجرد زيارات وما قد يصل إلى إدمان فى مشاهدة التلفزيون ، لا فى تقاريره الإخبارية وبرامجه النقاشية ، وحواراته الثقافية ، ولكن ، فى الغالب ، فى مشاهدة مسلسلات وأفلام متكررة ، وبعضها " يسطح " العقل حقا ، فضلا عما يرين من برامج تسودها السذاجة والبدائية فى التفكير ٠

إننا على وجه العموم ما زلن نتعامل مع " الوقت " بقليل من الرشد والتعقل ، مع ما أصبح معروفا فى السنوات الأخيرة بأن إدارة الوقت

أصبحت علما ، لما تبين من أنه " ثروة " تنفرد عن سائر الثروات بأنها غير قابلة للتعويض بعد استهلاكها ، على عكس كافة الثروات الأخرى ، فكيف ، وعلى أى وجه يمكن للمرأة أن تستثمر وقت فراغها فيما هو مفيد لها ولأولادها ، ولأسرتها وللمجتمع ؟

– وهناك أيضا التنمية العلمية ، بحيث لا تقف المرأة التى تعلمت تخصصا معينا عند حدود ما مجالاته ينمو نموا مذهلا ، سواء فى المجالات الإنسانية أو الطبيعية والتطبيقية ، وأن الرضا بالتوقف عند حدود سنوات التعليم النظامى إنما هو " تحجر " ، وصورة من صور لا نبالغ إذا وصفناها فى زمننا الحالى بأنها مؤدية إلى شكل من أشكال التخلف .

إننا ينبغى ألا نوجه اللوم إلى خريجينا عندما نراهم يكادون يقذفون بمذكراتهم وكتبهم عرض الحائط معلنين فرحهم بالتخلص منها وانتهاء فترة التعليم ، ونتصور أن ذلك قصور منهم ، وإنما هو نتيجة لأساليب التعليم السيئة التى نمارسها فى مدارسنا وفى جامعاتنا ، وهذا أدعى إلى السعى الحثيث لإقناع المرأة بأن الحفاظ على مكانتها وتقدير الآخرين لها ، وقبل ذلك تقديرنا لنفسها يحتاج منها أن تتابع ، ولو إلى حد ما ، بعض التطورات ، من خلال بعض القراءات .

– أما التنشئة الثقافية ، فهى قضية حيوية لا للمرأة وحدها وإنما لكل مواطن ، لكننا هنا نخصها بالتقدير والأهمية ، نظرا للدور الخطير الذى تقوم به المرأة الأم بصفة خاصة ، إذ مما لا شك فيه أنه كلما اتسعت دائرة الثقافة لدى الأم ، كلما تعمق وعيها ونضج تفكيرها ، وأصبحت ممن يفكرون تفكيرا يوصف " بالحكمة " ورجاحة العقل ، فاتساع دائرة الثقافة يتيح للإنسان رؤية أوسع للأمور ، وتعددا فى جوانبها وتنوعا فى زوايا الرؤية ، وبالتالى تصبح مرجعا " حكيما " لأبنائها ، لا بمعنى أن " تفتى " فى شتى المجالات ، ففضلا عن أن هذا أمر مستحيل واقعا ، ولكن بمعنى

– مرة أخرى – مرونة التفكير واتساع الأفق وسعة الصدر ، وتعددا فى فرص إمكان الإجابة عن بعض التساؤلات التى يطرحها الأبناء ، أو توجيههم إلى بعض الآفاق المعرفية التى تفيدهم أكثر من غيرها ، وتحذيرهم من بعض المجالات التى على العكس من ذلك ، ومزيدا من القدرة على فحص ما يجئ به الأبناء من مصادر معلومات ، قد تحمل الغث الضار، وقد تحمل السمين المعين ٠

٣- العلاقة بالرجل :

فليس معنى إلحاحنا على أن تدرس المرأة كل ما يتصل بتكوينها وحياتها ووظائفها وأدوارها أن يقف الأمر عند حدودها الشخصية ، ذلك أن كل ما يتصل بحياتها ، يتصل بالضرورة بالنصف الآخر المكمل وهو الرجل ، فهو أبوها ، وربما يكون لها أخا ، وأحيانا ما يكون لها عما ، وخالا ، فضلا عن كونه جدا ٠ وهو يكون شريك حياتها عند الزواج ، وهو يزاملها فى الجامعة ، وغالبا ما يزاملها فى العمل ، وقد يكون رئيسا لها ، أو تكون هى رئيسة له ٠ وفى كل الأحوال فإن هذا يفرض وعيا علميا وثقافيا ببعض ما يتصل بهذا النصف الآخر ٠

والأصل العام فى الإسلام الذى لابد أن تستند إليه التربية الأسرية فى هذا الجانب ، هو المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة كما أشرنا من قبل ، والاستثناء هو اختصاص كل منهما ببعض الوظائف التى لا يستطيع الآخر القيام بها ، بحكم تكوينه البدنى والنفسى وخصائصه الذاتية (ميثاق الأسرة فى الإسلام ، ص ١٨٧) ٠ وليس ثمة مانع شرعى من توزيع الأعباء الاجتماعية بين الرجل والمرأة بما يحقق المصلحة العامة ٠

ومن أبرز القيم المعنوية والأخلاقية بين الزوجين : الشراكة التامة فى أمور الحياة الزوجية كل على حسب ما يناسب تكوينه وقدراته ومركزه

القانونى ، وينبغى أن تكون هذه الشراكة قائمة على التراضى والتشاور ، وهو من باب احترام عقل الإنسان واختياراته الشخصية ، قال تعالى : (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)) سورة البقرة .

وتوجب الشريعة الإسلامية على كل من الزوجين واجب احترام الآخر من عدة وجوه :

- فعلى الزوجة أن تحترم زوجها وتقدر متاعبه الحياتية ومراعاة مكانته فى الأسرة وإعانته على تحمل أعبائه وعلى سائر شئونه واحترام قرابته واعتبارهم فى مكانة قرابتها من النسب ٠
- وعلى الزوج احترام مشاعر زوجته وتجنب كل ما يجرح كرامتها ، سواء فى خلوة أو على ملأ من الناس وخاصة أمام أحد من أهله أو أهلها ، كما أن عليه احترام أهلها

كذلك فإن أبرز ما يتصل بالعلاقة بين الذكر والأنثى ، المسألة المتعلقة بالثقافة الجنسية ، صحيح أن العلاقة بين المرأة والرجل لا ينبغى أن تتمحور حول الجنس ، لكن الذى لا شك فيه أنها قضية على جانب كبير من الأهمية ، إلى الدرجة التى يؤكد فيها كثير من الاختصاصيين فى مشكلات الأسرة أنها مصدر متقدم فى الأولوية فى الكثير من النزاعات والمشكلات التى تنشأ داخل الأسرة ٠ ولا ندرى حقا ما الذى يؤخر اقتحام هذا المجال ليكون قضية علمية تعليمية ، وهو يتعلق " بغريزة الحياة " نفسها ، وما يتصل باحتياج أساسى لا لكل إنسان ، بل ولكل كائن حى ؟ وليس التثقيف الجنسى مطلوبا للمرأة لذاتها بحيث تستتير بكل ما يتصل بهذا الجانب ، ولكنه مطلوب كذلك حتى يمكن أن تنقل الضرورى منها إلى الأبناء ، الذين يتساءلون كثيرا عن الموضوعات الجنسية ٠ إننا نسمع كثيرا

من الآباء والأمهات والمربين يتساءلون : هل يجوز لهم مصارحة الولد أو البنت فى كل ما يطرأ عليهم من علامات البلوغ ومظاهر المراهقة ؟ وهل لهم أن يحدثوهم عن الأعضاء التناسلية ووظيفتها ، وعن الحمل والولادة وكيفيتهما ؟ وهل يجوز مصارحتهم بالأمراض الجنسية وأخطارها وأسبابها ، وكيفية الوقاية منها ؟ وهل يتعارض هذا مع الدين ؟

والرجل فى كل مجال من المجالات التى أشرنا إليها يحتاج إلى شكل خاص من التعامل ، وبصفة خاصة فى حالة كونه زميلا ، حيث نلاحظ تراوحا فيما يحدث فى هذا المجال من حال كانت تعيش فيها فى انفصال تام يحيط به جو من الغموض والتحريم ، إلى حال يكاد يسود الآن ، زاد فيه الانفتاح فى العلاقات إلى حد يثير القلق حقا ، مما ينتج أحيانا بعض الصور المؤسفة ، لعل أشهرها ما أصبح مؤكدا من وجود حالات زواج سرى ، فما الشكل الذى ينبغى أن تأخذه العلاقة قبل الزواج مع زملاء الدراسة وزملاء العمل ، والجيران ؟

وكذلك العلاقة مع الرجل باعتباره زوجا ، وما قد تحدثه مشكلات الحياة اليومية من غيوم وتوترات ، ربما تؤدى إلى العصف بالحياة الزوجية . وكذلك ما قد يصيب الحياة الزواجية من فتور وملل ، وأيضا ما قد يتعرض له الزوج من انحراف .

٤- التربية الأسرية :

وبداية لابد أن يقوم تعليم الأنثى فى هذا الشأن على ضرورة قيام الأسرة على مبادئ الدين وقواعده ، وذلك اعتمادا على عدد من النصوص الشرعية فقال تعالى (و وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ

وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)) سورة البقرة ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله " لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء (مقطوعة بعض الأنف ومثقوبة الأذن) سوداء ذات دين أفضل " (حديث ضعيف رواه ابن ماجة ، وابن حبان ، والبيهقى ٠٠) ، فهو وإن كان ضعيفا ، لكن مضمونه يتسق مع تعاليم الإسلام.

فبتأثير التداعيات المختلفة للعلم ، وخاصة منذ " نيوتن " تسيد مفهوم للعالم يركز على أساس مادى بحت ، يتطلب التعامل معه على أساس " كمى " ، مما أفرز منهجا علميا يقوم على تقدير ما يمكن أن يقاس فقط ، وإسقاط ما يصعب على القياس ٠ وها قد تجاوز العلم المعاصر فيزياء نيوتن ، بفعل تطورات فى جوانب علمية شتى ، ليبرهن على أن هذا الذى تدركه حواسنا ، والأجهزة المساعدة ليس هو بالفعل كل ما يوجد ٠ وكان المفهوم السابق لطبيعة العالم ومفهوم العلم قد أخفق فى أن يجلب للإنسان الراحة التى كان ينشدها ، والسعادة التى كان يبتغيها ، رغم الكم الكبير من المخترعات التى توصل إليها ٠ لقد أصبح هذا الإنسان يتوق إلى تلك الجوانب التى افتقدها طويلا ، والتى تتمثل فى " الحب " و " الحنان " و " الود " و " دفء " العلاقات الإنسانية وما يجرى مجراها من عواطف ومشاعر وأحاسيس ، كانت تقابل من قبل بالسخرية وكأنها مظهر من مظاهر التخلف وأسلوب من أساليب " الإنشاء " !

إن مثل هذه الأمور والجوانب هى " الأسمنت " الذى يشد لبنات البناء الاجتماعى بعضه إلى بعض ليقوم قويا شديد الأساس ، قوى الجدران ،

وهى من الأمور التى يستحيل ، أو يصعب قياسها وترتيبها واصطناعها ، وإهمالها ، قد ضيع على البشرية الكثير مما يصعب تقديره . إنها نباتات ، لها تربتها الطبيعية وأسمدتها الخاصة ، ومناخها الذى لا تنبت إلا فيه ، ألا وهو الأسرة ..الأسرة التى يتواجد أفرادها معا شطرا كبيرا من اليوم وجها لوجه ، لا عن طريق " رنة " أو " رنات " عن طريق " المحمول " وإنما بأن يتفاعل أفرادها معا بطرق مباشرة وشخصية ، ولا يكتفون بمجرد الارتباط القانونى والشرعى ، ثم يظل كل واحد منهم دائرا فى فلكه الخاص معظم ساعات اليوم لا يعرف البيت إلا فى ساعات النوم فقط .

والمرأة ، زوجة ، وأما ، وبنتا ، وأختا ، هى النبع الأساسى الذى يمكن أن يفجر طاقات الحب والدفء الأسرى التى أثبتت ، حتى الدراسات الاقتصادية المادية ، أنها ذات أثر مذهل – فى صورتها السوية الصحيحة – على زيادة الإنتاج ، دون أن نقع فى أسر التعبيرات البلاغية وبغير أن نحلق فى أجواء الخيال العاطفى .

ومما يمكن أن يعين على ذلك أن تتعلم المرأة ما نسميه بالتربية الأسرية ، والتى يمكن أن تتضمن عددا من القضايا والفروع ، نسوق منها على سبيل المثال :

- **تربية الطفل** : فتربية الطفل ، فى مهده الأول ، تشكل البذور الأساسية لبنية الشخصية على حد كبير ، طوال الحياة . ولقد بينت دراسات علمية نفسية كثيرة ، أن تنشئة الطفل أطول فترة ممكنة فى السنوات الأولى ، عن طريق أمه ، هو عمل لا يستطيع أن يعوضه الجهد الكبير الذى قد تبذله دور الحضانة والمربيات . وإذا قلنا هذا ، قلنا فى الوقت نفسه ، أن هذه التربية تحتاج إلى تفرغ جزءا من الوقت ، وكذلك تحتاج إلى دراسة " علم " له آفاقه فى دراسات الطفولة . وتشتد الحاجة إلى ذلك اليوم ، حيث – لابد أن نعترف مع

الأسف الشديد – نلمس كيف تخلت المدرسة عن كثير من جوانب مهمة " التربية " لتكتفى بمهمة " التعليم " ، نتيجة عوامل متعددة لا مكان للإشارة إليها هنا ٠ وإذا كان إنشاء دور الحضانة ورياض الأطفال يتزايد شيئا فشيئا ليخفف من أعباء المرأة ، لكن تظل " الأم " هى المصدر الأساسى ٠ ويوجب ميثاق الأسرة فى الإسلام فى المادة (١١٢) ، ص ٣٣٥ أن يكون من أولويات التربية الأساسية للطفل تعليمه قواعد الإيمان وتدريبه على عبادة الله وطاعته ، وتأديبه بآداب الإسلام ، ومكارم الأخلاق ، وتعويده على اجتناب المحرمات ، وسائر السلوكيات والعادات السيئة والضارة ، والبعد عن قرناء السوء ، وتوجيهه إلى الرياضة المفيدة والقراءة النافعة ، وأن يكون الوالدان أو المسئولون عن رعايته قدوة عملية صالحة له فى كل ذلك ٠ ومن المهم كذلك مراعاة التدرج فى منح الطفل هامشا من الحرية ، وفقا لتطوره العمرى ، بما يعمق شعوره بالمسئولية تمهيدا لتحمله المسئولية الكاملة عند بلوغه السن القانونية ٠ وأيضا من الضرورى حماية الطفل وخاصة فى مرحلة المراهقة من استثارة الغرائز الجنسية والانفعال العاطفى عند التوعية الجنسية ٠

- **إدارة البيت** : فالمادة (٧٥) من ميثاق الأسرة فى الإسلام (ص ٢٦١) توجب على المرأة القيام بشئون بيت الزوجية والأولاد على الوجه الملائم لأمثالهما ، وهو واجب عليها ديانة وبحكم ما لابد أن يقوم بينهما من روابط المودة والرحمة والتعاون على ما فيه سعادتهما ، ولكنها لا تجبر عليه قضاء ٠ وإذا كانت تعمل خارج المنزل ، فعليها أن تسهم فى نفقات البيت بالقدر المناسب لحالهما وحسبما يتفقان عليه رضاء ، أو بتقدير حكم عدل بين الطرفين ٠ ولا نقصد بإدارة البيت هنا فقط التنظيم والقيادة واتخاذ القرارات ، وإنما نقصد

ما يتصل بأعمال البيت مما كان يسمى " التدبير المنزلى " ، فأعمال البيت اليوم لا يكفى فيها التقليد والمحاكاة من البنت لأمها ، وإنما تقوم على علوم ومعارف متقدمة لابد من تعلمها فى منهاج خاص بذلك ٠ وإذا كان البعض يتصور أن الأجهزة الحديثة يمكن أن تغنى المرأة عن استهلاك وقت طويل فى أعمال المنزل ، وأن أنماط الحياة الحديثة توفر لها كثيرا من المنتجات الجاهزة ، فإننا نؤكد أن هذا ، إذا كان يمكن أن يحدث ، فنطاقه يكاد ينحصر فى المناطق المتوسطة والمتقدمة اقتصاديا وثقافيا ، بينما الكثرة الغالبة من الجماهير ، فى المناطق الفقيرة لا يمكنها الاعتماد على مثل هذا ٠ وفى بعض المجتمعات ، نجد مؤسسات تعليمية تعرض على المرأة برامج لصيانة أجهزة المنزل وبعض الأدوات فيه ، مما يوفر قدرا لا بأس به من المال ، فضلا عن ضمان جودة ٠

- ومن قبل هذا وذاك ، فإن الطريق إلى تكوين أسرة ، أمر يحتاج إلى وعى وإلى معرفة وعلم ، إذ لم تعد المسألة هى تعارف فتى على فتاة أو العكس ، ثم يمضيا فى طريق تكوين الأسرة ، وإنما أصبحت هناك الآن صعوبات وعقبات متعددة تحول بين الشباب وبين تكوين أسرة بالفعل ، مما نلمسه من تزايد نسبة العنوسة ، وانتشار ما يسمى بالزواج العرفى ، والذى يقع – بالصورة التى يحدث بها بين شباب اليوم – فى دائرة الحرام ، حيث يخلو من عنصر الإشهار والإعلان ، فضلا عن رأى بعض الفقهاء بضرورة أن يتم بولى ٠ ويتصل بخطوات تكوين أسرة ، بل وينبغى أن يكون فى مقدمة أولويات هذه القضية ، مسألة " الاختيار " ، سواء اختيار الفتى للفتاة أو العكس ، والظروف التى تحيط بهذا الاختيار ومدى سويتها أو انحرافها ، ودور الأهل فى ذلك ٠ وهناك أزمة العثور على مسكن ، والتى

تتفاقم بحيث تعجز العدد الأكبر من الشباب . وهناك بعض الممارسات الجنسية الخاطئة التى يقع فيها بعض الشباب نتيجة طول فترة عدم الزواج وإلحاح الغريزة الجنسية ، مما قد يكون سببا فى تكون ما يسمى " بالعقد " النفسية تجاه الزواج . وهناك ارتفاع تكاليف الزواج نفسه ، من حيث ما انتشر فى السنوات الأخيرة من تزايد فى المظهرية والتفاخر ، سواء فى الهدايا ، أو تقدير المهور ، أو أسعار الأثاث أو احتفالات الزواج ...إلى غير هذا وذاك من مشكلات ، يمكن أن تؤدى دراستها والوعى بها إلى إعمال الفكر بحثا عن حلول لها .

- وهناك ما يتصل **بالعلاقات الزواجية** ، حيث قد تكتشف الفتاة بصفة خاصة عجزا جنسيا لدى الزوج ، وهو الأمر الذى بدأ يشيع فى السنوات الأخيرة بصورة تدعو إلى الدهشة وتستوجب دراستها . وكذلك قد يكتشف الزوج عيبا ما لدى الزوجة ، من حيث ما قد يكون من برود جنسى ، على سبيل المثال ، ومن ثم فإن دراسة احتمالات المشكلات التى يمكن أن تظهر فى أيام الزواج الأولى يمكن أن يدفع كثيرين إلى الاقتناع بأهمية " الكشف " الطبى ، على الأقل قبل الزواج ،حتى تستقيم العلاقات الزواجية فى حدها الأدنى . ودراسة هذا الجانب أيضا لابد أن تتضمن " حدود السلطة " فى الأسرة : ما الذى يكون فى سلطة الزوج ، وما الذى يكون من سلطة الزوجة ، وما الذى يكون مشتركا ؟ لقد أصبح شائعا بين كثيرين السخرية من ذلك النموذج الذى أصبح منسوبا إلى بطل رواية نجيب محفوظ " سى السيد " ، وهو الأمر الذى يحتاج إلى إعادة نظر ، فالسلطة المطلقة لسى السيد ، لم تكن شرا كلها ، فقد كان لها حسناتها حيث كان يوفر الحماية الكاملة للزوجة ، ويتكفل بكل ما يتطلبه

المنزل والزوجة والأولاد من مصاريف ، بل ، وتوفير الحاجيات ، فهل لابد من الاختيار بين نموذج سى السيد ، وما أصبح شائعا الآن من العكس من ذلك من حيث الضعف الشديد لسلطة الأب ، وما أصبح هناك من تزايد بعض مظاهر " الانفلات " داخل الأسرة ؟

٥- المرأة والمجتمع :

ونقصد بهذا الجزء مجموعة من القضايا التى تتصل بعلاقة المرأة " بالآخر " ، والآخر هنا هو ما يقع خارج أسرتها الصغيرة المتضمنة الزوج والأولاد ، إذ لابد من التسليم بما أصبح الأمر عليه فى الحقبة المعاصرة ، وهو ما يختلف كثيرا عن الأمس حيث كانت المرأة محصورة إلى حد كبير فى دائرة عائلتها الممتدة دون أن تدرى بما يكون عليه الأمر فى مجتمع القرية أو المدنية ، فضلا عن الوطن ، والعالم أجمع ، فبالإضافة إلى ما أدى إليه عمل المرأة من احتكاكها المستمر بدوائر مجتمعية متعددة ، فإن وسائل الاتصال الحديثة ، وفى مقدمتها "الإنترنت " و القنوات الفضائية ، قد وضعتها فى قلب الأحداث ، سواء كانت هذه الأحداث اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، أو غير هذا وذاك .

ويستتبع هذا ضرورة وعى المرأة بأن مسئوليتها عن حسن تكوين أسرتها وسوائها ، ومساهمتها الفعالة فى التنشئة والتربية للأبناء ، إنما هو خطوة أساس لحسن وسلامة البناء الاجتماعى الكبير الخاص بالأمة كلها ، مصداقا للتعبير الشهير بأن الأسرة هى حقا الوحدة الأساسية للمجتمع ، ومن ثم فلا مكان لذلك الاتجاه الذى أصبح يتردد بين البعض " أنا وبعدى الطوفان " ، أو " مالنا ومالهم " ، أو غير هذا وذاك من شعارات تشير على " أنانية " ، حتى ولو كانت خاصة بمجموع الأسرة ، وتشير إلى مرض اجتماعى خطير يسمى " الخلاص الفردى " ، أى بحث الإنسان عن حلول

لمشكلاته الشخصية أو الأسرية ، دون وعى بمدى ما قد يؤدى إليه مثل هذا الحل الفردى من آثار سلبية على مجموع أبناء الأمة .

وهنا لابد من وعى المرأة بما يلى من القضايا :

- **تعدد الأدوار** : فنحن اليوم أصبحنا نطالب المرأة بالعديد من الأدوار التى قد يتعارض بعضها مع بعض ، فإن لم يكن هناك تعارض ، فهناك " تزاحم " بحيث قد ينتهى الأمر إلى " عجز " و " قصور " فى تأدية كثير منها . فنحن نطالبها بأن تكون " زوجة " و " أما " و " عاملة و " مربية " و " معلمة " ، و" مديرة بيت " .. إلخ . بل إننا فى هذه الدراسة نوحى بمثل هذا ، من خلال هذه الموضوعات والقضايا التى نقترح أن تتضمنها برامج تعليم المرأة . وتكاد هذه القضية تنفرد بالوجود فى عالمنا العربى ، حيث ظللنا نطالب المرأة بنفس الأدوار التى كانت عليها عندما كانت متفرغة كربة بيت ، فأصبحت اليوم تقوم بالأدوار التقليدية والأدوار المستجدة معا . وقد يرى البعض أن إبراز تعدد الأدوار المطلوبة من المرأة ربما يؤدى إلى تمردها عليها ، لكننا نأمل أن يحدث العكس ، ولا يتحقق هذا الغرض المرجو إلا بالوعى بحقيقة الموقف القائم ، وبما يجب أن يكون ، وقياس الفجوة بين الجانبين ، وكيفية عبورها . ولعل من أولى المهام المفروض تضمينها فى مثل هذا البرنامج ما يجب أن يكون من " أولويات " بين الأدوار ، ذلك أن ضعف الوعى بفقه الأولويات هنا يعد مسئولا خطيرا عما يحدث من تناقض وخلل وتقصير . وهناك دور ظهر – مثلا – مؤخرا ما كان يجب أن ينشأ حيث أُلقى معظمه على كاهل المرأة الأم ، نتيجة تقصير مؤسف للغالبية الكبرى من المدارس ، مما يضطر كثيرا من الأمهات أن يقمن " بالمذاكرة " مع أولادهم ، خاصة فى السنوات الأولى من

المرحلة الابتدائية ، وحيث يكون الأب فى الغالب منشغلا بعمله الأساسى .

- **الخدمة الاجتماعية** . فنحن نعلم أن المرأة ، عندما يكبر الأولاد ويتزوجون ويستقلوا بحياتهم ، وتواجه بفترة التقاعد والمعاش ، ويكون الله قد أتاها صحة لا بأس بها تمكنها من مواصلة العطاء ، يمكن أن تواجه فراغا طويلا من الوقت ، يختلف عن ذلك الفراغ فى الوقت الذى سبق أن أشرنا إليه ، فهو هنا يكاد يعلن للمرأة أن " دورها " قد انتهى فى الحياة ، أو ضعف إلى حد كبير ، وهو شعور قاتل يواجهه كثيرون من الموظفين بصفة خاصة عندما يحالون إلى المعاش ، وأمر مثل هذا يشير إلينا بأهمية دراسة الجانب الخاص بالخدمة الاجتماعية ، وخاصة تلك الصور التى ربما تحتاج إلى " تطوع " ، ولا تعينها إمكاناتها على دفع أجر يكافئ قيمة النشاط المبذول . وفى مجتمع مثل المجتمع المصرى بصفة خاصة حيث ما زالت مشكلة مثل الأمية تخيم على عقول ما قد يصل إلى عشرين مليونا من المواطنين ، فضلا عما هو معروف من شيوع الفقر بين ملايين من السكان ، يحتاجون إلى أن يحصلوا على بعض الخدمات دون أن يتكلفوا دفع ثمنها . وهناك القضية الكبيرة الخطيرة الشهيرة الخاصة بما يعرف بأولاد الشوارع . وكذلك ما يتصل برعاية الأيتام ، وذوى الاحتياجات الخاصة من المعوقين ، وغير هذا وذاك من مشكلات ومجالات ، يمكن أن تُبرز احتياجها إلى جهد المرأة .
- **الوعى السياسى** : وهو يتمثل فى مستويات متعددة ، لعل أعلاها " المشاركة السياسة " التى قد تكون عن طريق الانضمام إلى أحد الأحزاب السياسية ، وقد تكون عن طريق المشاركة فى التصويت بالنسبة للانتخابات البرلمانية ، وكيف أن هذا وذاك ، وغيرهما من

صور المشاركة السياسية ليس دفعا بالمرأة إلى أتون بحر من المشكلات والهموم التى هى فى غنى عنها ، ويكفيها هموم الأسرة والزوج والأولاد والعمل ٠٠وإنما هى تدعيم لمكانة المرأة ودفع لها للمساهمة فى تصحيح الأوضاع السياسية وإقامتها على أسس سوية ، فمشكلات السياسة تعود بالضرورة فى نهاية الأمر – إن سلبا أو إيجابا – على الأسرة ، مما يتبدى فى السياسة الاقتصادية ، وفى سياسة التعليم ، وفى قوانين العمل ٠إننا نلح على هذا الجانب بالذات حيث تشيع سلبية النساء فى مجتمعنا بصورة واضحة ، فى الوقت الذى تعلو فيه الأصوات المنادية بحقوق المرأة وتصحيح أوضاعها وتخليصها مما يقع عليها من ظلم وقهر وإرهاب ، فهل يمكن أن يأتيها كل هذا وغيره ، وهى مولية ظهرها لهموم الأمة وقضاياها ومشكلاتها ؟ صحيح أن تحليل المواقف قد يشير إلى أن الذنب يكمن فى أحوال تحيط بالعملية الانتخابية ، حيث أحداث عنف رأيناها فى انتخابات مجلس الشعب عام ٢٠٠٥ ، لكن لابد من الإلحاح على أن العلاج لا يكون بإدارة الظهر والتباعد ٠

- ولعل من القضايا المهمة كذلك ، ما عرف فى السنوات الأخيرة " **بفقه المرأة** " ، فعلى الرغم من النصوص الصريحة الواضحة القاضية بالتساوى بين الإناث والذكور فى كثير من الأمور ، إلا أن الخالق الذى خلق الإناث ببعض ما يتميزن به وينفردن ، أورد فى كتابه العزيز بعض التوجيهات والأحكام الخاصة بالنساء ، مما يفضل أن تكون للنساء دراية به ٠ ولا ننسى القضايا الخاصة بالزواج والطلاق والمهر والعدة وحضانة الأطفال ، والملبس ، وغير هذا وذاك من مسائل وقضايا ٠ بطبيعة الحال ليس مقصودا هنا أن تكون المرأة " فقيهة " ، فهناك من تخصصوا فى ذلك ، إناثا وذكورا ،

ولكن ما نقصده هنا أمرين ، أولهما : أن يتوافر لدى المرأة قدر من الثقافة الدينية المتصلة بما تختص به يشبه ما نسميه فى النواحى الصحية " بالإسعافات الأولية " التى يستحسن توافر من يقوم بها حتى تحول الحالة على الطبيب المختص ٠ الأمر الثانى : أن يكون لدى المرأة " حس " يميز بين السطحى والمتعمق ، حيث نجد أنفسنا فى السنوات الأخيرة أمام " لزدحام " غير عادى فيمن يتصدون للفتوى ، فضلا عن القائمين فى أماكن متعددة ، وخاصة المساجد ، حيث يلمس البعض تعارضا يوقع جمهور الناس فى حيرة ٠

- ومن أجل تهيئة المرأة للمشاركة فى العمل العام ، من الضرورى إكساب المرأة مجموعة من **المهارات السلوكية الإدارية** من قبيل القدرة على الاتصال الجيد والفعال ، والتدريب على اتخاذ القرار ، والتفاوض وإدارة الصراع ، وإدارة الوقت ، وبناء فرق العمل والتفكير الابتكارى ٠ وبطبيعة الحال فإن مثل هذه البرامج يمكن أن تساهم التدريبية فى تدعيم مساهمة المرأة فى الحياة العامة ، سواء أكانت تحتل مواقع قيادية ، أم إشرافية فى الجهاز الإدارى ، أم كانت تحتل مناصب تنفيذية ، أم كانت عضوة فى الجمعيات الأهلية ، أم كانت جزءا من القطاع الخاص فى مجالات الخدمة والإنتاج (المجلس القومى للمرأة ، ص ١١١) ٠

وبعد .....

ربما يبرز انطباع سريع للوهلة الأولى نتيجة الاطلاع على كل هذه القضايا والموضوعات التى رأينا من المهم للغاية أن تدرسها المرأة ، والتى تتضمن بالتبعية " مهام " و " أدوارا " عليها القيام بها ، أنها يمكن أن تشكل عبئا ثقيلا على المرأة ، وأنها ، مجتمعة ، توحى بعسر تنفيذها ، ونحن بدورنا لابد أن نسارع إلى التنبيه بأن كثيرا من هذه الموضوعات والقضايا هى " ثقافة " و " معرفة " ، فروعها متداخلة ، متكاملة ، لا نلمس لها – فى الواقع – وجودا متمايزا ينبئ عن " تعدد " و " تنوع " ، ومن ثم فلا خوف مما بدت عليه من " تضخم " ، فمقصد الدراسة والبحث والتفكير هو الذى اقتضى تفريعا وتجزيئا وتعديدا قد يوحى بثقل فى المهام وعبء فى المسئوليات .. هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى فلابد وأن نعترف بأن خروج المرأة للعمل ، فى الوقت الذى تدير فيه شئون أسرة وأولاد ، ربما يكون مسئولا مسئولية غير قليلة عن خوف من أن تعجز المرأة عن تحمل كل هذا . إننا لا نشجب هنا مبدأ عمل المرأة أبدا ، بصفة مطلقة ، فهو حق إنسانى لا ينبغى المنازعة فيه ، واحتياج بشرى لا يمكن الوقوف إزاءه موقفا سلبيا ، لكن هناك حقوقا متعددة هنا ينبغى ترتيب أولوياتها إذا حدث تعارض أو تنازع بينها ، فللأسرة ، ككيان اجتماعى وحضين تربوى حق أساسى تطلبه من المرأة لابد أن تكون له الأولوية والصدارة ، ومن ثم ، فإذا لم تحوج الظروف المرأة للعمل ، أو إذا كان لها أطفال ، أو إذا كانت الظروف تستنزف وقت الزوج خارج المنزل ، فإن تفرغها للأسرة لا ينبغى أن يؤخذ على أنه تقليل من شأنها ، وجور على حقها ، وإنما هو على العكس من ذلك ، شهادة بأن هذا الكيان الاجتماعى " الأسرة " ، والمؤسسة التربوية الأولى ، يحتاج إليها

٠٠تبث فيه الحياة والحب ودافعية العمل والتعليم ٠٠إنه بدونها ، يمكن أن ينهار ، أو تتعطل وظائفه الأساسية ٠

وفى الوقت نفسه ، فإن هذا يلقى بتبعات كثيرة على الرجل بأن يوفر مناخا يشيع بالطمأنينة على الحاضر والمستقبل وثقة تثبت الفؤاد ، وحبا ، وتقديرا واحتراما ومساعدة بأقصى ما يمكن له لهذا " المصباح المنير " للأسرة ، وللمجتمع ٠٠المرأة ٠

ومن أبرز النقاط التى تحتاج إلى دراسة وتفكير ونقاش ، هو ما يمكن توفيره من ضمانات لهؤلاء النساء الذين يوافقن على التفرغ للبيت ، ويكن ممن لا دخل لهن ولا ثروة ، إذ لا يمكن أن ننكر ما يؤدى إليه هذا الوضع فى بعض الأحوال من ترك المرأة فى مهب الريح ، حيث تبقى معلقة بإرادة رجل ربما يكون ظالما ، وربما تغيره الظروف إذا كان قد بدأ ودودا مخلصا ، إذ لا يمكن تقبل أن تعيش أم ومديرة منزل ، وهى تخاف فى كل لحظة من إقصائها وخروجها إلى الشارع وحيدة مقهورة !

إننا عادة ، لا ندرج " ربات البيوت " ضمن فئة " العاملات " لأننا نقدر العمالة بما تدر من دخل ، وننسى أن عمل ربة البيت ، إذا تمت دراسته دراسة علمية جادة وجيدة ، حتى من الناحية الاقتصادية البحتة ، تثبت أنه يجئ بدخل مادى له اعتباره ، بطريق غير مباشر ، قد لا يتسع المقام لتفصيل أمثلة له ٠

مراجـــــــع

١- ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد وافى ، القـاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦

٢- أحمد الرشيدى : حقوق الإنسان فى القوانين والتشريعات الدوليـة ، القاهرة ، دار المستقبل العربى ، ج١ ، ٢٠٠٠

٣- أحمد زايد وآخرون : المرأة وقضايا المجتمع ، القـاهرة ، مركـز البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية الآداب ، جامعـة القـاهرة ، ٢٠٠٢

٤- أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمـد علـى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨

٥- _____: تاريخ التعليم فى مـصر ، القـاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، ١٩٤٥

٦- أحمد مصطفى ، صحيفة التربية ، القاهرة ، مارس ١٩٥٩

٧- إسماعيل القبانى : دراسات فى تنظيم التعليم فى مصر ، القـاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨

٨- الأمم المتحدة : تقرير المؤتمر العالمى لاستعراض وتقييم منجـزات عقد الأمم المتحدة للمرأة : المساواة والتنمية والسلم ، يوليـو ، ١٩٨٥

٩- إلياس فرح : تطور الفكر الماركـسى ، بيـروت ، دار الطليعـة ، ١٩٨١ ، ط٦

١٠-أميمة أبو بكر : خطأ الأصولية الحداثية ، وتاريخ النـساء ، فـى مجلة طيبة ، مركز دراسات المرأة الجديدة ، القاهرة ، مايو ٢٠٠٣

١١-أمين سامى : التعليم فى مصر ، القاهرة ، ١٩١٧

١٢-الحسينى سليمان جاد : : وثيقة مؤتمر السكان والتنمية ، رؤية شرعية ، كتاب الأمة ، يصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الدوحة ، ١٩٩٦ ،

١٣-رشاد على عبد العزيز موسى : سيكلوجية الفروق بين الجنسين ، القاهرة ، مؤسسة مختار ، ١٩١٩١

١٤-زكريا إبراهيم : سيكلوجية المرأة ، القاهرة ، مكتبة مصر ، د٠ت

١٥-زينب حسن حسن : دراسة وتقويم الجهود المبذولة لمحو أمية المرأة فى كل من المجتمعين المصرى والسعودى ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٩

١٦-زينب محرز ، تعليم الفتاة فى الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٥

١٧-زينب محمد فريد : تطور تعليم البنت فى مصر منذ عهد الاحتلال البريطانى ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٦٦

١٨-سامية الساعاتى : علم اجتماع المرأة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٣

١٩-سامية مصطفى الخشاب : المرأة والعمل المنزلى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٣

٢٠-سعيد إسماعيل على : قضايا التعليم فى عهد الاحتلال ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٤

٢١-_____: ديموقراطية التربية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٢

٢٢-_____: التعليم فى ظلال ثورة يوليو ١٩٥٢ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٥

٢٣-سعيد عبد الحميد محمود السعدنى : دراسة تقويمية لتعليم المرأة فى القطاع الريفى فى ضوء احتياجات التنمية ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٦

٢٤-سلوى محمد فرج : المرأة المصرية فى الأمثال الشعبية ، مجلة طيبة ، مركز دراسات المرأة الجديدة ، القاهرة ، مايو ٢٠٠٣

٢٥-طلعت عبد الحميد : : التعليم المستمر مدى الحياة وتحقيق التكامل بين التعليم النظامى وغير النظامى ، القاهرة ، دار فرحة ، ٢٠٠٤

٢٦-عبد الباسط عبد المعطى ، واعتماد علام (تحرير) : العولمة وقضايا المرأة والعمل ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣

٢٧-عبد المنعم حسين شوقى (إشراف) احتياجات المرأة فى صعيد مصر ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٩٨١

٢٨-فاطمة على السعيد جمعة : قضايا تربية البنت وتعليمها عند رائدات الحركة النسائية فى مصر من سنة ١٨٨٢ ، إلى سنة ١٩٥٢ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، بجامعة عين شمس ، ١٩٨٨

٢٩-فاطمة مصطفى عبد الجواد خميس : العائد الاجتماعى من تعليم المرأة المصرية ، رسالة ماجستير ، القاهرة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٦

٣٠-فهمى هويدى : (تساؤلات وثيقة بكين ودروسها ، الأهرام ، الخامس من سبتمبر ١٩٩٥) .

٣١-اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل : ميثاق الأسرة فى الإسلام ، القاهرة ، طبعة تجريبية ، ٢٠٠٦

٣٢-محمد سليم العوا : : الإسلام يكفل جميع حقوق المرأة ولكن بعض المسلمين يغفلونها ، الأهرام فى ١٩٩٥/٩/١

٣٣-المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى ١٩٥٢-١٩٨٠ ، التعليم ، القاهرة ، ١٩٨٥

٣٤-مصطفى سويف (إشراف) : تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٧٤

٣٥-مؤتمر التعليم الإلزامى المجانى للدول العربية ، بالاتفاق مع هيئة اليونسكو وجامعة الدول العربية : تعليم المرحلة الأولى فى مصر ، القاهرة ١٩٥٤

٣٦-المؤتمر القومى للمرأة : المؤتمر الأول ، نهضة مصر ، المرأة ..المواطنة والتنمية ، القاهرة ، مارس ٢٠٠٠

٣٧-ميثاق العمل الوطنى ، القاهرة ، ١٩٦٢

٣٨-نادية الخولى : التمييز على اساس النوع فى كتب الأطفال العربية والفرنسية ، فى مجلة طيبة ، مايو ٢٠٠٣

٣٩-نادية عبد الجواد الجروانى : العائد الاجتماعى لبرامج محو أمية المرأة العاملة ، دراسة مطبقة على إدارة الجيزة لمحو الأمية وتعليم الكبار ، القاهرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ١٩٩٩

٤٠-نبوية موسى : تاريخى بقلمى ، ملتقى المرأة والذاكرة ، القاهرة ، ١٩٩٩

٤١-نعمات عبد الناصر أحمد صالح : أثر التركيب الطبقى على التعليم العالى للمرأة فى جامعة أسيوط ، رسالة دكتوراه ، اسيوط ، ٢٠٠٠

٤٢-نولة درويش : سلطة الخطاب فى إنتاج الوعى بالذات والآخـــر ، مجلة طيبة ، القاهرة ، العدد الثالث ، مايو ٢٠٠٣

٤٣-وزارة المعارف العمومية : تقرير يبين حال التعليم الـــذى تتـــولاه وزارة المعارف أو تشرف عليه من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٢٢ .

٤٤-_____: قانون رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥١

٤٥-_____: قانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥٣

٤٦-وزارة التربية والتعليم : قانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦

٤٧-يوسف مراد : سيكلوجية الجنس ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة إقرأ ، مايو ١٩٥٤